وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

– شعبة التاريخ –

دور القوى الدينية و القبلية في قيام الدولة السعدية بالمغرب الأقصى

915. 961هـ/1509. 1554م

مذكّرة مُقدَّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالب:

✍ مبارك دريس.

إشراف الأستاذة:

✍ رحيمة بيشي.

لجنة المناقشة:

✍ الأستاذة:.... عائشة محمة ..... رئيسا.

✍ الأستاذة: .... رحيمة بيشي..... مشرفاو مقررا.

✍ الأستاذ: .... موسى تريعة ..... مناقشا.

الموسم الجامعي1438-1439هـ/ 2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى من فرج كربتي وأزال عني الهم والحزن، وإلى من أعطاني فكان عطائه لا حدود له، إلى الذي لم يخيبني عند اللجوء إليه.

سبحانه وتعالى.

أهدي ثمرة جهدي إلى من اختلفت مكانتها بعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في الكون، وإلى التي حملتني وهناً على وهن ورعتني بنبع حنانها، رفيقة أحزاني ورجائي في شدتي وعزائي.

أمي الغالية أطال الله في عمرها.

إلى من أبقاني عاجزا عن رد جميله وتحمل الصعاب من أجل أن يفتح لي درب الحياة ودفع بي إلى منعرج العلم.

أبي العزيز أدامه الله لي

إلى قرة عيني وبهجة سروري وأغلى ما أهداني الله أخواتي: نبيلة، شريفة، مريم، محمد عبد النور، محمد الصالح، عائشة وكوثر.

إلى اللذان أعتبرهما بمثابة والدي جدي وجدتي أطال الله في عمرهما

إلى اللواتي أثلجن صدري بحبهن بنات أختي جدلة ، رحاب الجنة

إلى خالاتي وإلى أخوالي وزوجاتهم وأولادهم، إلى عماتي وأعمامي وأولادهم دون استثناء وإلى كل أصدقائي دون استثناء

وإلى كل من جمعتني بهم أصدق اللحظات وأروع الذكريات إلى كل دفعة ماستر التاريخ الحديث

وإلى كل الأهل والأقارب، وكل من يعرفني من قريب أو بعيد، وكل من يحمل لقب ادريس

إلى كل أساتذتي الكرام الفضلاء الذين أمدوني طيلة سنين الدراسة بلب ما أكتسبه من علم ومعرفة

مبـــارك

تشكر

لا يسعني إلى أن أحمد الله عز وجل الذي سدد خطاي لإتمام هذه الدراسة

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى المؤطرة التي رافقتني طوال هذا العمل الأستاذة المشرفة بيشي رحيمة، والشكر موصول لأساتذة التاريخ الذين ساعدوني

من قريب وبعيد ولم يبخلوا عني بتوجيهاتهم ونصائحهم. كما أتقدم

بالشكر إلى كل من ساعدني في كتابة وطباعة هذا العمل وأخص بالذكر

خالتي سعيدة، وأشكرهم على رحابة صدورهم وسعة صبرهم وإلى كل

طلبة دفعة التاريخ لسنة 2018.

وأرجو من الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

قائمة المختصرات

باللغة العربية:

تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
ج	جزء
د ب	دون بلد
د س	دون سنة
د ط	دون طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ط	طبعة

باللغة الفرنسية:

P	Page
Op.cit	Opus.Citatum

مقدمة

التعريف بالموضوع :

شهدت منطقة المغرب الإسلامي في مستهل الفترة الحديثة أزمة جلية اجتاحت كل المستويات، وأدت إلى تحولات خطيرة طبعت هذه المرحلة، وأثرت أيما تأثير على المسار التاريخي للبلدان المغاربية، وقد أدى ضعف هذه الدول إلى خروج مجموعات عديدة لتستقل بمناطقها تحت قيادة قبائل قوية، تمحورت في غالب الأحيان حول طريقة دينية تجسمت في زاوية ، وأحسن مثال على ذلك المغرب الأقصى الذي ظهرت به الحركات الدينية كسلطة روحانية متحكمة في الطبقات الاجتماعية بمختلف أصنافها، أضف لذلك تحكمها في تسيير الأوضاع الاقتصادية والسياسية، ولعل أبرز مستفيد من هذه القوى في القرن العاشر هجري، السادس عشر ميلاي، الأسرة السعدية التي اتخذت من نسبها الشريف هدفا لكسب تأييد هذه القوى والالتفاف حولها، مستغلة ضعف الوطاسيين في المغرب.

وفي ظل هذه الظرفية أيضا برزت قوى متعاظمة على الضفة الشمالية من المتوسط تمثلت في إسبانيا والبرتغال الساعيتان للسيطرة على الحوض الأبيض المتوسط والجهة الغربية للمحيط الأطلسي عن طريق احتلال المدن الساحلية لمنطقة المغارب عموما، والمغرب الأقصى خصوصا ،ولم يكن للوطاسيين حول وقوة لمواجهة هذه الغزوات ،وهذا ما أدى إلى بروز المتصوفة وأرباب الزوايا كحركة مقاومة لهذه الغزوات، ولعل أبرز هذه الحركات كانت في الجنوب المغربي بقيادة الطريقة الجزولية، التي كان لها الدور البارز في التصدي لهاته الحملات العدوانية، ومساعدة السعديين في شتى المجالات للوصول إلى سدة الحكم في المغرب. لذلك جاء بحثي موسوما ب"

"دور القوى الدينية والقبلية في قيام الدولة السعدية بالمغرب (915- 961هـ/1509-1554م)"

- دوافع اختيار الموضوع:

لقد ساهمت عوامل في دفعي لاختيار هذا الموضوع ولعل من أبرزها ما يلي :

- إن موضوع دور القوى الدينية والقبلية في قيام الدولة السعدية بالمغرب في القرن العاشر هجري /السادس عشر ميلادي مهم، نظرا لما تميزت به الحالة الإجتماعية و الدينية في تلك الفترة والتي غلب عليها انقيادها للحركة الصوفية المسيطرة على الفكر المغربي(المالكية و المهدوية و غيرها).

- ظهور عدة دراسات تبنت البحث في الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية إلا أنها لم تتطرق للحديث عن مساهمة الأوضاع الثقافية في الأعمال السياسية، كونها المسيطر الأول على جميع الأوضاع بالمغرب في تلك الفترة، وهو ما دفعني للبحث عن دورها في قيام دولة الأشراف السعديين بالمغرب.

- ميلي إلى دراسة هذا النوع من الدراسات التاريخية، ورغبتي الملحّة في الاطّلاع على ما كتب عن تاريخ المغرب السياسي، نظرا لاعتقاد أسرتنا وجميع سكان المنطقة التي أقطن بها أننا ننحدر من السلالة الإدريسية في المغرب، وأن جدنا الداخل لمشيخة أنقوسة كان صوفيا، وقدم من المغرب وقام بإصلاحات دينية في المنطقة.

- الهدف من هذه الدراسة:

إن الهدف من هاته الدراسة هو الخوض في مجريات الأحداث التي ساهمت في ظهور السعديين كسلطة حاكمة جديدة في المغرب، من بداية سيطرتهم على السوس لغاية وصولهم لسدة الحكم بشكل رسمي، بالإضافة إلى ما قامت به القوى الدينية والقبلية من مساهمات في تغيير سلطة الحكم في المغرب من أسرة بربرية إلى أسرة شريفة، وتعد ثاني أسرة شريفة تتقلد الحكم في المغرب.

وبغية الكشف عن دور هذه القوى التي لم يتطرق المؤرخون للحديث عنها بشكل كبير وتقيميها، لعلي بذلك أقدم عملا مفيدا لمن يجهل الكثير عن التفاصيل الأولى لقيام السعديين في المغرب.

- الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

وقد اخترت الفترة ما بين (915- 961هـ/1509- 1554م) كإطار زماني لموضوع دراستي هذه، ذلك نظرا لأهمية هذه الفترة في تاريخ الدولة السعدية بالمغرب بطريقة تكاد توصف بالمعجزة، فمن أسرة في منطقة مجهولة إلى توليهم حكم المغرب.

أما بالنسبة للإطار المكاني للدراسة، فقد تم تحديد منطقة المغرب الأقصى نظرا لقيام الدولة السعدية في هذه المنطقة (الجنوب أولا ثم التوسع).

-إشكالية الدراسة:

ولدراسة هذا الموضوع فسوف أعالجه من خلال الإجابة عن الإشكالية التالية:

- أين تكمن أهمية الزاوية أو الطريقة في التاريخ المغربي؟

– أين تكمن أهمية الطريقة الجزولية في رسم سياسة المغرب الأقصى خلال ق 16 م؟ أو ماذا تمثل الزاوية المغربية في حقيقة التاريخ؟

– أين تكمن اسهامات الجزوليين في تاريخ السعديين؟

– كيف برزت القوى الدينية والقبلية كهيئة صانعة للقرار السياسي في المغرب الأقصى؟ أم أن للأوضاع المغربية دور في فرض هذه الأخيرة نفسها في تغيير زمام أمور الحكم في المغرب؟

– الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث:

– شهادة الماجستير للدكتور جلول بن قومار بعنوان معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أروبا، البرتغال . اسبانيا . فرنسا (986هـ . 1578م /1012هـ . 1603م) ، وقد أفادتني كثيرا في الفصل الأول.

– شهادة ماستر لنصيرة بوشارب بعنوان التصوف في بجاية ق(06 .09هـ/15.12م)، وقد استفدت منها في الفصل الثاني.

– شهادة ماستر للطالبين نور الدين زروالة وصدام مركون بعنوان شخصية محمد الشيخ السعدي (946هـ .964هـ/ 1540م .1557م) واستفدت منها هي الأخرى في الفصليين الثاني والثالث ،وساعدتني في مهمة البحث عن المصادر والمراجع.

- منهج الدراسة :

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي التركيبي، فجمعت المادة التاريخية أولا، ثم قمت بتحليل الأحداث وتركيب المعلومات المستنتجة من المصادر المعتمدة في هذه الدراسة، وفي الأخير استخلصت أهم النتائج.

- الخطة المعتمدة:

من خلال دراستي لهذا الموضوع، قمت بتقسيمه على النحو التالي: مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة.

فقد تحدثت في **الفصل الأول** وهو عبارة عن فصل تمهيدي عن أوضاع المغرب العامة قبل قيام الدولة السعدية ، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، حيث تناولت في **المبحث الأول:** الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمغرب، وفي **المبحث الثاني**: الأوضاع السياسية، والمبحث الثالث: الأشراف السعديين في المغرب، وقسمت **الفصل الثاني** الذي عنونته بمساهمة الزوايا والطرق الصوفية في نشر الدعوة السعدية بين القبائل المغربية إلى ثلاث مباحث، فتطرقت في المبحث الأول إلى تعريف الزاوية والطريقة والتصوف، والمبحث الثاني: الجزوليين ودورهم في نشر الدعوة السعدية، والمبحث الثالث : دور القبائل في بروز السعديين في المغرب، (قبائل السوس وبني هنتاتة) نموذجا، أما **الفصل الثالث** فكان تقييما للأحداث التي واجهت السعديين في رحلة وصولهم إلى الحكم، وقسمت هذا الفصل إلى أربع مباحث، المبحث الأول :تحرير الثغور المحتلة بداية لأمر السعديين

،المبحث الثاني: الصراع السعدي الوطاسي، المبحث الثالث: قيام دولة الأشراف السعديين والمبحث الرابع :موقف الدولة السعدية الناشئة من القوى الدينية والقبلية.

وختمت كل ذلك **بخاتمة** قيّدت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج خلال دراستي لهذا الموضوع، وذيّلت هذه الدراسة بمجموعة من **الملاحق** المتنوعة، وهي تصب كلها في صلب الموضوع، إضافة إلى قائمة **المصادر والمراجع** المعتمدة في الموضوع وأخيرا **فهرس الموضوعات.**

- التعريف بأهم المصادر والمراجع ونقدها:

اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع، وفيما يلي استعراض لأهمها:

أ- المصادر العربية: لقد اعتمدت على مجموعة من المصادر من أهمها:

1- **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية:** لمؤلف مجهول، وهو مؤرخ مغربي مكناسي من بقايا بني وطاس، كتاباته تحمل الكثير من النقد للدولة السعدية بحيث يصفها بالدولة الخبيثة، وقد اعتمد الكاتب المجهول على الأسلوب السردي للأحداث، وهذا راجع للأسلوب المتبع آنذاك، ورغم ذلك يبقى الكتاب من أهم المصادر المتحدثة عن الدولة السعدية.

2- **وصف افريقيا:** للرحالة الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وهو مصدر ذو قيمة تاريخية للمغرب بشكل عام والمغرب الأقصى بشكل خاص، فهو يصف من خلال زيارته للمدن الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لها، ولقد استفدت منه في الفصل الأول، ولكن حسن الوزان أهمل في كتابه الحالة السياسية العامة للمغرب الأقصى، واكتفى بالحديث عن الأحوال السياسية في المدن والقرى التي زارها.

ب-المراجع العربية:

1-**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الخامس**: لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، وهو مؤرخ مغربي، وكتابه هذا يتألف من خمسة أجزاء، ويعتبر كتابه هاما لتاريخ الدولة السعدية خاصة في المرحلة الأولى لنشأة الدولة، فقد استفدت منه كثيرا في جميع عناصر بحثي لما يحتويه الكتاب من معلومات قيمة، إلا أن الكاتب اعتمد على الكثير من روايات المؤرخين.

2. **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**: للمؤرخ محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني، ويعتبر هذا الكتاب أهم مرجع في دراستي، نظرا لأسلوب الكاتب المبني على التحليل واستخراجه للرواية الراجحة مما قاله الرواة عن السعديين وحول نسبهم، إلا أن كتابه يحمل نوعا من الغموض حول السعديين ، نظرا لعدم ترتيبه للأحداث التاريخية.

3. **المغرب في عهد الدولة السعدية**: للمؤلف عبد الكريم كريم، وهو يعد من أهم المراجع المتعلقة بأوضاع المغرب في القرن السادس عشر، إذ تكلم عن السعديين ومسيرتهم السياسية والحياة الاقتصادية والثقافية للمغرب قبل وصولهم للحكم وفترة حكمهم، وقد استفدت كثيرا من هذا المرجع.

4. **المغرب عبر التاريخ، الجزء الثاني**: لمؤلفه ابراهيم حركات، ويعتبر من أهم المراجع التي تحدثت عن السعديين منذ بداية دعوتهم إلى فترة حكمهم، موضحا جميع الأوضاع التي أحاطت بالسعديين، واستفدت منه في دراستي كونه أحاط بجميع جوانب الدولة السعدية.

5. **الطريقة الجزولية التصوف والشرف والسلطة في المغرب الحديث**: للمؤلف أحمد الوارث، استفدت من هذا المرجع في الفصل الثاني كونه يتحدث عن الجزوليين بشكل تفصيلي، إلا أن الكاتب بالغ في مدحه للجزوليين في كتابه.

6. العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الجزء الأول: للمؤلف عمار بن خروف، وهو مرجع مهم يستعرض الأوضاع السياسية للمغرب والجزائر، وقد استفدت منه كثيرا في بحثي نظرا لما احتواه من معلومات قيمة حول أوضاع المغرب الأقصى في القرن السادس عشر.

كما استفدت من مراجع ودراسات عديدة، سأضعها وفق ترتيبها في قائمة المصادر والمراجع.

- صعوبات الدراسة:

أما عن الصعوبات التي واجهتها في هاته الدراسة فيمكن القول أن أي دراسة علمية أو عمل بحث جاد لا يخلو من الصعوبات والعراقيل، أذكر منها:

- عدم قدرتي على السفر للمغرب الأقصى للاطلاع على المصادر والكتب التي تفيد بحثي، لأن المصادر التي صادفتها في المراجع المغربية المتعلقة بموضوع بحثي غير متوفرة في الجزائر.

- قلة المصادر وتنوع المراجع وأغلبها تتناول نفس الأفكار، وتتشابه أحداثها ووقائعها كثيرا، وتتناول دور القوى الدينية والقبلية بشكل يسير.

- قلة المادة العلمية التي تتناول موضوع دور القوى الدينية والقبلية في قيام الدولة السعدية في المغرب بحد ذاته.

- ندرة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية المتناولة للموضوع، وعدم تمكني من إيجاد ما يساعدني في بحثي، وهذا راجع لعدم تمكني من اللغات الأجنبية التي تتطلب جهدا ووقتا لترجمة محتواها.

- صادفتني مشكلة ضيق الوقت نظرا لحصولي على مصادر ومراجع في وقت متأخر، ولم يكن بحوزتي إلا بعض المراجع التي تتناول موضوع بحثي.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أحمد الله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذتي المشرفة رحيمة بيشي على قبولها الإشراف عليّ أولا، وعلى مجهوداتها الجبارة التي قامت بها معي في إعانتها لي في الحصول على قدر كبير من المصادر والمراجع، وتوجيهاتها لي طيلة هذه الفترة الزمنية، وأشكر جزيل الشكر الدكتور بن قايد عمر على مساعدته لي بالكتب المتخصصة في الموضوع، فقد أزاح عني غبنا كبيرا، فله مني كل التقدير والعرفان، والشكر موصول أيضا للجنة العلمية الموقرة التي قبلت مناقشة مذكرتي من أجل إثرائها وزيادتها العلمية، وإلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة من بعيد أومن قريب في سبيل إنجاز هذا العمل.

الفصل الأول

أوضاع المغرب العامة قبل قيام الدولة السعدية

- **المبحث الأول:** الأوضاع السياسية (ضعف الحكم الوطاسي).
- **المبحث الثاني:** الأوضاع الاقتصادية و الثقافية للمغرب.
- **المبحث الثالث:** ظهور الأشراف السعديين على الساحة المغربية.

الفصل الأول: أوضاع المغرب العامة قبل قيام الدولة السعدية

عرفت بلاد المغرب الأقصى عشية قيام الدولة السعدية أوضاعا صعبة في شتى الميادين ،نظرا لضعف السلطة المركزية بفاس والتي كانت تحت حكم الوطاسيين، الذين سعوا للحفاظ على دولتهم التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة بسبب ضعف سلطتها المركزية وتدهور قطاعيها الثقافي والاقتصادي وعدم قدرتها على توحيد أقطار البلاد، وعجزها عن الوقوف في وجه الغزو البرتغالي المتزايد، وكنتيجة لهذا الأخير ظهر نفوذ الزوايا التي حملت على عاتقها مسؤولية تحرير الأقطار المغربية وتولى مهمة تأطير حركة الجهاد ضد المحتلين.

المبحث الأول :الأوضاع السياسية (ضعف الحكم الوطاسي)

شهدت الدولة الوطاسية[1] خلال القرن التاسع هجري، الخامس عشر ميلادي، أوضاعا مزرية متمثلة في انتشار الفتن والفوضى والاضطرابات ناهيك عن الغزوات الصليبية الحاقدة التي شنتها السفن البرتغالية على السواحل المغربية، هذه العوامل أدت لضعف الدولة الوطاسية وانهيارها وانحصار سلطتها في فاس[2] وما جاورها[3]، من أقاليم[4]،ناهيك عن وجود خلافات داخل العرش الملكي الوطاسي، ولم يكن لملوك بني وطاس ما يلزم من القوة للحفاظ على السلطة وبسط نفوذهم

---

(1) **الوطاسية** :نسبة للوطاسين وهم فرع من بني مرين ، ينتمون إلى قبيلة زناتة الأمازيغية، تولوا مناصب عليا في الدولة المرينية، وبعد ضعف السلطة المرينية انتزع محمد الشيخ الوطاسي الحكم من المرينيين ، وأسس الدولة الوطاسية سنة 876هـ/1471م، ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،** تح الأستاذ جعفر الناصري ،والأستاذ محمد الناصري ، ج4 ، دار الكتاب ،الدار البيضاء ، المغرب،1995 ،ص118.

(2) **فاس:** وهي مدينة تبدأ من نهر الربيع غربا لتنتهي بملوية شرقا يحدها من الشمال بحر المحيط وسائر أطرافها بالبحر المتوسط وتنقسم إلى سبعة أقاليم .ينظر: حسن الوزان: **وصف إفريقيا** ،تر محمد حجي . محمد الأخضر ،ج 1 ،ط2 ،دار الغرب الإسلامي ،د ب ،1983 ،ص193.

(3) عبد الكريم كريم: **المغرب في عهد الدولة السعدية** ،ط 3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط .المملكة المغربية ، 1427هـ/2006م، ص16.

(4) . ينظر الملحق رقم 01.

على مجموع التراب المغربي[1]، وذلك لعموم الفوضى والنكبات الطبيعية المثمتلة في الطاعون والمجاعات التي انتشرت في جميع البقاع المغربية وخاصة في المناطق الشمالية منه[2]، ولعل حالة ضعف الوطاسيين كان نتيجة هذه العوامل البارزة و المتمثلة في:

1-انقسام المغرب وظهور وحدات سياسية شبه مستقلة

عرفت المغرب ظهور إمارات شبه مستقلة، مند مقتل السلطان أبي عنان، نظرا للظروف التي مرت بها المغرب في هذه الفترة التي عرفت بداية أفول وضعف الدولة الوطاسية التي عجزت عن حماية السواحل المغربية من الغزوات الإيبيرية المتكررة وسقوط مدينة تلو الأخرى في أيدي البرتغاليين والأسبان، فظهرت حركات جهادية للتصدي لهاته الحملات ومقاتلة العدو عند السواحل المحتلة [3]، فتجزأ المغرب إلى وحدات سياسية صغيرة كثيرة في جميع أنحائه تحت زعامات قبلية، أو دينية، أو مجالس محلية مستقلة [4]، وعملت هذه الوحدات المتجزئة على حمل لواء الجهاد ضد القوى الإيبيرية الغازية، فعلى سبيل المثال بروز بعض المدن المكافحة لهاته الغزوات الحاقدة كمدينة شفشاون، والقصر الكبير[5]، وتطوان، غيرها من المدن البعيدة عن مركز السلطة في فاس،

---

(1). مرمول كربخال: **إفريقيا** ،ج1 ،تر محمد حجي وأخرون ،ط1 ،مكتبة المعارف ،الرباط المغرب ،1984 ،ص450 .

(2). عبد الكريم كريم : المرجع السابق ،ص6.

(3) . مرمول كربخال: المصدر السابق، ص 16.

(4). عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب** ، ج1 ،ط1 ،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،1427هـ/2006 ،ص46.

(5). **القصر الكبير**: هي مدينة كبيرة أسست في عهد المنصور ملك مراكش ، ويمر بجوارها نهر اللكوس الذي يفيض أحيانا حتى يصل الماء إلى باب المدينة . الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا** ،تر محمد حجي . محمد الأخضر ،ج 1 ،ط2 ،دار الغرب الإسلامي ،د ب ،1983 ،ص303.

واضطرت قبائل هذه المدن لعقد الهدنة مع المحتلين وإعلان بعضها الدخول تحت حماية البرتغاليين[1].

في هذه الفترة ظهرت مدينة شفشاون كمركز للمقاومة ضد الاحتلال البرتغالي للسواحل المغربية، تحت قيادة المولى علي بن راشد [2]، واتخذها قاعدة لجهاده ضد البرتغاليين، كما ثار ضد الوطاسيين، الذين قاموا بعقد معاهدات هدنة مع البرتغاليين، فحافظت مدينة شفشاون على مكانتها في حركات الجهاد، وبعد وفاة علي بن راشد تولى ابنه المولى إبراهيم عمليات الجهاد ضد البرتغاليين [3].

كما ظهرت عائلة العروسي في القصر الكبير التي كانت سوقا كبيرا تجلب إليها البضائع من مختلف الجهات، وظلت المدينة خاضعة لعائلة لعروسي، ومن أشهر أبنائها القائد أحمد الذي عرف ببطولته ضد الغزاة البرتغاليين [4].

وفي مدينة تطوان برزت عائلة أندلسية تسمى أسرة آل المنظري [5]، توارث أبناؤها الحكم في مدينة تطوان والتي يعود تجديدها إلى المهاجرين الأندلسيين والذين كانوا يقدرون مدى خطورة التوسع الصليبي في شمال المغرب، ودعوا إلى ضرورة توحيد الجهود للتصدي للغزاة المحتلين [6].

كانت الظروف التي يعيشها المغرب عاملا مهما على نشوء هذه الإمارات في القسم الشمالي منه، كما أن عدم قدرة الوطاسين على حماية المغرب من الغزو الإيبيري وسياسة حكمهم

---

(1). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص ص 16.17.

(2). **علي بن راشد** : من الشخصيات المغربية التي واجهت الاحتلال البرتغالي في الشمال ،وإتخّد مدينة شفشاون قاعدة لجهاده ،أسر من طرف البرتغالين في طنجة 1457م. ينظر: عبد الكريم كريم ، المرجع السابق، ص 16.

(3). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص17.

(4). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص17.

(5). **المنظري**: وتعود إلى مؤسسها أبو الحسن علي المنظري الذي أشرف على بناء تطوان وأسس فيها إمارة مستقلة عن الحكم الوطاسي :ينظر :محمد داود، **مختصر تاريخ تطوان** ط2 ،مطبعة المهدية ،تطوان ،1955 ،ص 15.

(6). عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص ص 17.18.

في فاس، قد دفع بعض الولاة في المناطق الجنوبية للمغرب إلى محاولة الانفصال عن العاصمة، كما حصل لمدينة دبدو[1] بالمغرب الشرقي، وبمدينة مراكش[2] في الجنوب المغربي[3].

فمدينة دبدو ظهرت كإمارة شبه مستقلة منذ الفترة الأولى لقيام الدولة الوطاسية، وقد التجأ إليها بعض الأمراء المرينيين بعد زوال دولتهم في فاس واتخذوها مركزا لهم، وظلت معاصرة للوطاسيين وانتهى حكمهم الأخير على يد السعديين[4].

وفي مراكش برزت إمارة بني هنتاتة، بتمركزهم في الجنوب حيث استولى أمراؤها على حكم هده المناطق واتخذوا من مدينة مراكش عاصمة لهم، وذاع صيتهم وتوسعوا في المنطقة بداية من منتصف القرن 9هـ /15م حتى وصلوا إلى سواحل المحيط الأطلسي[5]، وبالرغم من تعدد الإمارات الشبه مستقلة، والمستقلة في المغرب واشتراكها في نفس الهدف إلا أنها لم ترقى إلى تحقيق الوئام فيما بينها ، وخاصة الوحدات السياسية المتجاورة في ما بينها، إذ كان النزاع والصراع هدف كل وحدة للتوسع على حساب الوحدة الأخرى[6].

---

(1). **دبدو**: مدينة إفريقية أسسها الأفارقة على منحدر شاهق ،يسكنها فرع من شعب زناتة، وتقع المدينة على بعد خمسة أميال من السهل. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص 151.

(2). **مراكش:** هي مدينة مغربية تقع في سفح الأطلس الكبير على بعد 30كم ،أسسها يوسف ابن تاشفين أواسط القرن وأتمها من بعده ابنه علي. ينظر: الصديق بن العربي: **كتاب المغرب** ،ط3 ، دار الغرب الإسلامي ،المغرب ،1984م ، ص178.

(3). عبد الكريم كريم : المرجع السابق، ص17.

(4). نفسه، ص 18.

(5). الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق ،ص 144.

(6). عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص47.

2- الهجومات البرتغالية والإسبانية على السواحل المغربية

عرف المغرب غزوات إيبيرية منذ مطلع القرن 15م، حيث تمكن البرتغاليون من احتلال سبتة[1] سنة 818هـ/ 1415م، إلا إن الأسبان كانوا سباقين إلى الغزوات إذ غزوا مدينة سلا [2] ومدينة تطوان سنة 802هـ/ 1400م[3]، إلا أن سقوط سبتة على أيدي البرتغاليين تعد خسارة كبرى للمغرب إذ كانت المنفذ الرئيسي لصادرات المغرب[4]، وتعد منطقة استراتيجية فمنها تتم المبادلات التجارية، وهذا ما أسال أطماع الدول الأجنبية فهي رمز من رموز مقاومة العدو والجهاد، فكانت محط الرحال ومقصدا للرجال[5]، وكونها أيضا نقطة وصل بين جنوب أروبا وشمالها الغربي عبر مضيق جبل طارق[6]، ومنذ دخول الغزاة البرتغاليين إلى هذه المدينة لم تعد سبتة إلى حضيرة الوطن الأم[7].

---

(1) **سبتة**: هي المدن الساحلية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمال المغرب ،والآن هي تابعة لإسبانيا لها تاريخ على مر العصور الإسلامية الوسطى . ينظر:لسان الدين بن الخطيب السلماني :**معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار** ،تح محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،2002،ص 144.

(2). **سلا**: هي مدينة موازية لواد أبي الرقراق الذي يفصلها عن مدينة الرباط العاصمة ،يعتقد أنها تأسست في القرن الحادي عشر ميلادي ،ويرى بعض المؤرخين أنها مدينة رومانية قديمة . ينظر: لسان الدين الخطيب: المصدر السابق، ص152.

(3)إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص 204.

(4). أمين توفيق طيبي: **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس** ،ج2 ،الدار العربية للكتاب، 1997، ص271.

(5). محمد بن القاسم الأنصاري السبتي: **اختصار الإخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**،تح عبد الوهاب بن منصور،ط2،الرباط ،1983 ، ص05.

(6). محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص21.

(7). شوقي عطاء الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** ،ط1 ،مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ،1977 ،ص 44.

وحدث الصدام بين كل من إسبانيا والبرتغال حول ملكية جزر الكناريا[1]، ولم يرضى كلا الطرفين التنازل عن هاته الجزر، واضطر البابا إلى التدخل لمنع وقوع الاصطدام بتحديده مناطق النفوذ كل طرف بعد التوقيع على معاهدة توردیسلاس[2].

ومنه استطاع البرتغاليون أن يستحوذوا على جزء كبير من المغرب بعد تمكنهم من احتلال الميناء الصغير في 862هـ/ 1458م، واقتحامهم للميناء الغربي وبنوا به حصنا لحمايتهم، واستفاد البرتغاليون من الفوضى التي حلت بالمغرب، فاستولوا على أنفا[3]سنة 976هـ/ 1469م، ومدينة أصيلا[4] 875هـ /1471م واستولوا على مدينة طنجة في أغسطس 875هـ /1471م [5].

وبعد سقوط مملكة غرناطة في شبه الجزيرة الأيبيرية سنة 897هـ/1492م، اتخذ ضد مسلميها كل أنواع التعسف في حقهم والتهجير إلى أراضي شمال إفريقيا[6]، وزادت الغزوات البرتغالية على السواحل المغاربية وأصبحت المنطقة مستهدفة أكثر من السابق فتحول المسلمون من

---

(1). **الكناريا**: وتسمى كذلك بجزر الخالدات تابعة للتاج الاسباني على المحيط الأطلسي وهي عبارة عن أربع جزر كبرى :ينظر: مارمول كربخال :**إفريقيا** ،ج2 ،تر محمد حجي ،محمد الزبير ،مطابع المعارف الجديدة ،1989 ،ص237.

(2). **توردیسلاس**: هي معاهدة وقت بين إسبانيا والبرتغال يوم السابع من يونيو لتجنب الصدام بين اسبانيا والبرتغال بتدخل من البابا لحل النزاع :ينظر :عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص11.

(3). **أنفا**: العاصمة التجارية للمغرب الأقصى على الساحل الأطلسي تشتهر بالإنتاج الزراعي والصناعي . ينظر: لسان الدين الخطيب: المرجع السابق ،ص 156.

(4). **أصيلا**: مدينة صغيرة من المدن الشمالية للمحيط الأطلسي ،يرجع تأسيسها إلى العصر القرطاجي واحتلها البرتغاليون سنة 876هـ . ينظر: الصديق بن العربي ،ص178.

(5). شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق ، ص ص49.47.

(6). حسن أميلي: **الجهاد البحري بمصب أبي الرقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي** ،ط1 ،دار أبي الرقاق للطباعة والنشر ،الرباط ،2006 ،ص60.

مرحلة الهجوم على السواحل الأيبيرية إلى مرحلة الدفاع بعد طردهم من الأندلس[1]، وهكذا فكر ملوك إسبانيا والبرتغال في توسيع ملكهم وخلق إمبراطورية مترامية الأطراف وكانت أول أهدافهم السيطرة على الحوض الأبيض المتوسط واحتلال السواحل المغاربية [2]، واستطاع البرتغاليون في ما بعد احتلال العديد من المدن المغاربية الساحلية منها مدينة أكدير التي أحتلت سنة 911هـ/1505م، وأقاموا بها حصن سانت كروزا وبعد ذلك دخلوا مدينة

الصويرة[3]سنة912هـ/1506م، واحتلوا بعدها مدينة أسفي[4] سنة914هـ/1508م، وازمور[5] سنة919هـ/1513م[6]، ولم يتمكن المغاربة من الوقوف في وجه العدو الغازي بسبب الفوضى وفقدان الأسرة الوطاسية كل الاحترام بسبب عجزها ومهادنتها للاحتلال[7].

أما الأسبان فقد تمكنوا من احتلال مواقع ساحلية بمقربة سانت كروس مثل طاكوست، وتامانار، وأفران، وأفنى وذلك سنة904هـ/ 1499م، واحتلال مليلية سنة 905هـ /1497م[8]،

---

(1). محمود علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص11.

(2). شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق ،ملحق ص 486.

(3). **الصويرة**: مدينة حديثة على شاطئ المحيط الاطلنطي بين أسفي وأكادير، شيدت في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي وكانت هدفا لهجوم الأسطول الفرنسي بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ينظر: الصديق بن العربي : المرجع السابق ،ص 197.

(4). **أسفي**: هي مدينة على الساحل الأطلنطي بالمغرب ،وهي أصلا مدينة برتغالية ،كادت تندثر عندما غادرها مؤسسوها . ينظر :لسان الدين الخطيب: المصدر السابق ،ص 160.

(5). **أزمور**: هي مدينة مغربية تطل على المحيط الأطلنطي ،وهي مدينة صغيرة مشيدة بجانب رأس صخري عالي ،وكانت عاصمة دكالة قديما .ينظر :لسان الدين الخطيب :المصدر السابق ،ص158.

(6). أحمد بوشرب: **دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور** ،ط 1 ،دار الثقافة ، دار البيضاء ،1984 ، ص ص 194.195.

(7). محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص 31.

(8). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص12.

واحتلالهم مدينة غصاصة 911هـ/ 1506م، وساعد احتلال هذه المدينة على احتلال مدينة أسفي 913هـ/ 1508م[1].

وعند تمكن الأسبان من احتلال حجر بادس سنة913هـ/ 1508م، تم عقد معاهدة سنترا [2]في 18 سبتمبر من نفس السنة ، وبهذا تم إنهاء الصراع بين الأسبان والبرتغاليين، وكانت أغلب السواحل التي احتلتها اسبانيا سواحل جزائرية كاحتلالهم المرسى الكبير سنة 911هـ/1505م، ووهران سنة 915 هـ/1509م وغيرها من المدن الساحلية الجزائرية[3]

لم تكن هده الغزوات البرتغالية والاسبانية على السواحل المغربية وليدة الصدفة بل كانت ناتجة عن جملة من الدوافع أهمها :

– **الدافع الديني**: ويتبلور في تصريح الملك البرتغالي جان {**بأن الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه أفراد البيت المالكي الفخار هو ميدان الجهاد ضد المسلمين في المغرب ...**} [4]، فقد كان الملك البرتغالي متعصبا للدين المسيحي وحمل ابنه الأمير هنري الملاح مسؤولية الجهاد وجعله على رأس الجماعة المعروفة برجال المسيح، وكان الملك البرتغالي يحفز المقاتلين بمنحهم أكبر وسام في بلده(وسام السيد الأعظم) وكان يهدف إلى نشر المسيحية بين الأفارقة، ومحاربة الإسلام

---

[1]. ينظر الملحق 2.

[2]. **سنترا**: هي معاهدة وقعت بين اسبانيا والبرتغال في 18سبتمبر1509 لوضع حد للخلاف بينهما بحيث أطلقت اسبانيا يدها على السواحل المغربية الواقعة بين بادس وغمارة حتى لمنطقة غصاصة ومليلة ،بمقابل اعترافها بالنفوذ البرتغالي :ينظر: عبد الكريم كريم :المرجع السابق ،ص12.

[3]. يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر** ،ج1 ،ط1 ،دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر،2009م ،ص203.

[4]. محمد رزوق: **دراسات في تاريخ المغرب** ،ط1 ، إفريقيا الشرق ،د ب ،1991 ،ص 144.

والمسلمين وغزو أراضيهم في المغرب[1]، وسلب ممتلكاتهم وتحويل مساجدهم لكنائس، وإنشاء الأسقفيات بالمغرب، وإرسال رجال الدين للعمل بها، وعملت الكنيسة وبمباركة من البابا على إذكاء الروح العدائية للمسلمين لدى البرتغاليين، فأصبحت محاربة المسلمين والقضاء عليهم مسألة مصيرية لدى عامة الناس في أروبا [2]، خاصة بعدما فتح المسلمون القسطنطينة ، فاشتد حقد الكنيسة على المسلمين، فما كان من الأسبان والبرتغاليين إلا انتهاز الفرصة وتلبية نداء البابا ،وكانت هذه التلبية مقابل جباية ضريبية خاصة لملك البرتغالي [3]، الذي كان مصمما على نشر العقيدة المسيحية وتوسيع حدود مملكته[4].

– **الدافع الاقتصادي:** لم تكن الحملات الايبيرية على بلاد المغرب مجرد حملات دافعها ديني فحسب، بل كانت تسعى لزيادة نطاقها بالتوسع والحصول على الثروات لفرض نفسها في وتحقيق مجد لها في أوروبا[5]، وكذا سعي كل من اسبانيا والبرتغال إلى قطع التواصل التجاري بين التجار المغاربة وتجار البندقة والجنويين قصد السيطرة على السواحل المغربية، وإيجاد أسواق جديدة نظرا لأوضاع أوروبا الاقتصادية المتردية فقد عصفت بها أزمة اقتصادية حادة [6]، وحاولت البرتغال أن تستحوذ على الساحل الغربي لإفريقيا بهدف الإستحواذ على السلعة المتداولة آنذاك التي أطلق

---

[1]. محمد رزوق: المرجع السابق ،ص 144.

[2]. أحمد بوشرب: المرجع السابق ،ص148.

[3]. محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص19.

[4]. مرمول كربخال ،ج2 :المصدر السابق ،ص450.

[5] Rosemberger et Triki Hamid : Famines et épiddemies au Maroc au 16e et17e Siècles , /in /H esp,Tamuda,t , 14 Rabat 1913, p25.

[6]. محمد رزوق: المرجع السابق ،ص 143.

عليها العاج الأسود (الإنسان الإفريقي)، وإضافة لذلك البضائع الإفريقية الأخرى كالذهب والصمغ والعاج[1]، وكذا طمعهم في الممتلكات المغربية وخيراتها المتمثلة في القمح، والصوف، واستعباد البشر وبيعهم[2].

– **الدافع الاستراتيجي**: تعتبر المنطقة الشمالية الغربية لإفريقيا من أبرز المواقع الجغرافية لإفريقيا إذ تعتبر هذه المنطقة بوابة لأفريقيا، فالمغرب الأقصى يشرف على بحرين مهمين هما البحر الأبيض المتوسط بعراقته وأصالته شمالا، والمحيط الأطلسي الذي يعد منطلق الأروبين إلى العالم الجديد غربا، يضاف لذلك تحكمه في مضيق جبل طارق الذي لا تخفى أهميته إلى يومنا هذا[3]، فسياسة الاحتلال المقصور لدى البرتغاليين أغنتهم عن الدخول إلى المناطق الداخلية للمغرب و اكتفوا بالسواحل بعد بسط نفوذهم بها، وما دخولهم نحو الداخل ما هي إلا غارات تأديبية ونهب[4]، وكانت محاولاتهم لاحتلال الثغور ماهي إلا تحصيل حاصل لحماية شواطئهم وأراضيهم من العدوة الإسلامية المهددون بها ومنعهم لكل محاولات العبور نحو السواحل [5]، بقضائهم على قواعدهم البحرية لمنع غارات المغاربة على سفنهم وشواطئهم، واتخاذ قواعدهم مكان لهم لسيطرة على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي[6].

---

[1]. شوقي عطاء الله الجمل . عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** ،ط2 ،دار الزهراء 2002، ص 51.

[2]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص 47.

[3]. محمد رزوق: المرجع السابق ،ص143.

[4]. محمد علي عامر . محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص22.

[5]. أحمد بوشرب: المرجع السابق ،ص 154.

[6]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص47.

الغزو البرتغالي للمغرب جعل من سواحلها مناطق أجنبية، خاضعة للغازي البرتغالي، وهذا ما أدى إلى ضعف الكيان الواطسي وزعزعته من داخل بظهور الفتن وانقسامه إلى مناطق وأضحى الحكم الواطسي يعاني الأضرار من كثرت الإخطار التي تلاحقه جراء الغزو البرتغالي لأراضيه.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية و الثقافية للمغرب

1.الوضع الاقتصادي:شهدت المظاهر الاقتصادية اضطرابات في جميع ميادينها ولم يعد يرى أثر للنشاط الذي عرف به المغرب، وذلك عائد إلى ميل المغاربة إلى التجزؤ وعدم الحفاظ على الاستقرار والأمن الداخليين[1]، ففي ميدان المبادلات التجارية عرفت انحصارا شديدا، نظرا للعلاقات العدائية مع الدول الغربية واحتلال الإيبيريين للعديد من موانئه الهامة والتي كانت القلب النابض لاقتصادها، فانهارت مبادلاتها مع دول حوض البحر الأبيض المتوسط، وكذا مع مناطق الصحراء وغرب إفريقيا[2]، وبلاد السودان، فقد كانت تعد التجارة أحد مصادر الرخاء للمغرب قبل اضطراب أحواله، وفرض الحظر من البرتغاليين والإسبان من التجارة مع دول أروبا الغربية خوفا من تهريب الأسلحة النارية التي كان المغرب في حاجة إليها[3].

[1]. عمار بن خروف: المرجع السابق، ص48 .

[2]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص13.

[3]. Martinet et Autres : Histoire du Maroc, Casablanca 1967, pp 169-170.

وكان للفتن والحروب وانعدام الأمن دور كبير في تعطل التجارة الداخلية، فقد تأثرت باضطراب الأمن في الطرق والأسواق، فأصبحت القوافل معرضة للخطر وبات من حسن الحظ أن تنجو قافلات التجارة من الاعتداء عليها، إما من البرتغاليين أو الأسبان أو الأعراب[1].

كما أن الأعمال الزراعية التي كانت مزدهرة وباعتبار أن معظم أراضي المغرب الأقصى سهولا خصبة قد اضطربت وضعف نشاطها[2]، فهي التي كانت توفر الغذاء لكل سكان المغرب على الرغم من احتفاظ الفلاح المغربي بالوسائل والطرق القديمة في الإنتاج، فتقلص مردودها الإنتاجي[3]، وهذا راجع لهجرة سكان الأرياف والقرى إلى الجبال وتقلص مساحة الأراضي المزروعة، وتوسع العنصر البدوي الرعوي وانتشاره في السهول الخصبة، فالهجوميات الأيبيرية وخاصة منها البرتغالية أدت إلى خنق المغرب الأقصى من الناحية الزراعية، وتعطيل الحركة التجارية الداخلية والخارجية[4].

وكان لعدم التطور دور بارز في الانحطاط الصناعي، حيث أن المغاربة حافظوا على الوسائل الزراعية القديمة التي لم يطرأ عليها أي تغيير يذكر، وذلك راجع لضعف الجانب الصناعي إذ تمسك المغاربة بالحرف والصنائع القديمة التي تميزت بطابع العصور الوسطى ولم تقدم في هذا المجال وسائل حديثة [5]، وارتبطت الحرف بالمدن التي احتضنت الحرفيين وورشاتهم وقد تعرضت إلى

---

(1). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص48.

(2). نفسه ،ص13.

(3). عمار بن خروف: المرجع السابق،ص48.

(4). محمود علي عامر: محمد خير فارس :المرجع السابق ،ص31.

(5). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص13.

التخريب والغزو، والاحتلال، وقتل الحرفيين مثل غيرهم، بحيث لم يبق من المراكز الحرفية النشيطة في أوائل القرن السادس عشر الميلادي/ العاشر الهجري سوى مدينة فاس[1]، فالأوضاع التي أحاطت بالمغرب، لم تخلق الجو الملائم لتطور وازدهار الحرف، وهذا ما يفسره حسن الوزان بعد وصفه للحرف المغربية التي ربطها بالتبادل التجاري ،فمعظم المصنوعات المغربية تعرض أيضا في المناطق التي تصنع بها وتعرضت للضعف بسبب التعرض للوضعيات التي ترتب عنها الاحتلال الأجنبي في الميدان الاقتصادي، ويؤكد لنا من خلال وصفه حالة الاقتصاد المغربي الذي عاش في نظام شبه مغلق، الأمر الذي زاد من مساوئ الحالة الداخلية للبلاد، فعمت الفتن والاضطرابات وهذا ما نتج عنه صعوبة وجود طرق آمنة منظمة لسيرورة الحركة التجارية[2].

وكانت هذه العوامل بمثابة طرد بالنسبة لأبناء المدن والأرياف، فأصحاب الحرف والمهن في المدن، والفلاحين والرعاة أصبحوا يبحثون عن أسواق مفتوحة لممارسة نشاطهم الاقتصادي الذي عرف انحلالا وتدهورا في هذه الفترة[3].

2. الوضع الثقافي: كان أغلب سكان البلاد المغربية في نهاية القرن09هـ/15م وبداية القرن 10هـ/16م يعيشون في البادية التي يسود بها نظام العشيرة والقبيلة، ولئن كانت هناك مدن

---

[1]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص48.

[2]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ، ص ص13.14.

[3]. عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم: **المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517.1798)** ،ط1 ،منشورات المجلة المغربية و ديوان المطبوعات الجزائرية ،تونس ،1982 ،ص22.

ازدهرت من قبل ولا زالت بها بعض المظاهر الحضارية وهي قليلة[1]، فالحياة الثقافية والعلمية في المغرب لم تكن تزخر بالمراكز العلمية التي كانت متفوقة في هذا المجال عكس المناطق المجاورة لها.

فكانت هناك مدن علمية مغربية مقصدا لطلاب العلم في عهد الموحدين وبنو مرين[2]، لكن تدهورت وافتقدت لقيمتها العلمية فيما بعد ولم تبق إلا بعض المدن[3]، وكانت مدينة فاس من أهم المدن المغاربية في القرن9-10هـ/15 .16م باعتبارها العاصمة السياسية مند عهد المرينيين وهي تمثل المستوى الحضاري الرفيع[4]، فاشتهرت بالتفوق العلمي بفضل جامع القرويين، ولم تكن تناوئها مدن أخرى في العظمة إذ استثنينا مدينة تطوان[5] التي بدأت تأخذ مقاما رفيعا وتصبح مدينة منافسة لمدينة فاس في هدا المجال، أما المراكز العلمية الأخرى فلم تبرز بنفس قيمة المدينتين نتيجة عيشها والتهديدات الداخلية والخارجية بغزو المدينة وهذا حال ما كانت عليه مدينة

---

[1]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص22.

[2]. **بنو مرين:** وهي أسرة تعود أصولها إلى قبيلة زناتة المشهورة ، وبدأ المرينيون حياتهم السياسية والتي دامت أكثر من قرنين بصراعهم مع الموحدين وامتد حكمهم قرابة القرنين من 660هـ/ 1269م إلى غاية 1471م .ينظر: إيمان عبد الرحمن العثمان: **الفشتاليين في المغرب الأقصى ودورهم في الحياة العامة** ،مجلة كلية العلوم الإسلامية العدد الثالث عشر ،1434هـ/2013 ،ص7.

[3]. عمار بن خروف: المرجع السابق، ص49.

[4]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص22.

[5]. **تطوان** :أسست في عهد يوسف المريني سنة 685هـ ،هاجر إليها الأندلسيون وقاموا بإصلاحها احتلها الأسبان أول مرة سنة 1286هـ :ينظر:الصديق بن العربي:المرجع السابق، ص100.

مراكش[1] على سبيل المثال، والتي كانت تعيش تحت تهديدات القبائل المجاورة لها، فباتت شبه مهجورة وخربة بنسبة الثلثين، بحيث لم يبقى في المدينة إلا مراكز علمية قليلة نشيطة[2].

ولم تكن هناك مدن ومراكز علمية أخرى بارزة في المغرب[3]، وكان للزوايا والرباطات الصدى الواسع في الناحية الثقافية وقامت بالأشراف على التعاليم المختلفة والسيطرة على الحياة الفكرية للمجتمع المغربي، وأصبح التصوف موضة العصر في المغرب كله في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي ،وأقبل على التصوف جمع غفير من المثقفين في المدن والأرياف، وأصبح التصوف نهجا علميا وثقافيا للمغاربة [4]، وبرزت في هذه الفترة الحركات الصوفية ولعل أبرز الطرق التي اشتهرت الطريقة القادرية، نسبة إلى قطب الصوفية المشرقي عبد القادر الجيلالي دفين بغداد، وكذا الطريقة الشاذلية التي تأسست على يد قطب الصوفية المغربي عبد السلام بن مشيش وسميت بالشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي، وقد أثر بعض دعاة المعتزلة على العبادة والصلاة،كما قاموا بتأليف ونسخ الكتب حيث لا يزال العديد من تأليفهم مخطوطا ليومنا هذا، وقد خلق هدا النوع التدهور والانحطاط الفكري[5].

كان الوطاسيون محرومون من السند القبلي الذي كانت تتحكم فيه القوى الدينية، وحاولوا أن يعرضوا عن ذلك بإيجاد سند ديني وذلك عن طريق تشجيع الصوفية والشريفية في الوقت الذي

---

[1]. **مراكش :**هي مدينة مغربية تقع في سفح الأطلس الكبير على بعد 30كم ،أسسها يوسف ابن تاشفين أواسط القرن وأتمها من بعده ابنه علي. ينظر: الصديق بن العربي: المرجع السابق، ص178.

[2]. عمار بن خروف: المرجع السابق، ص49.

[3]عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص22.

[4]. محمد علي عامر محمد خير فارس: المرجع السابق،ص25.

[5]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق،ص26.

عجزت فيه سيطرتهم عن الأوضاع الداخلية والخارجية للبلاد[1].

وقد تراجعت الحياة الفكرية في هذه الفترة حيث تراجع عدد العلماء الكبار مثل ما حدث في العصر الموحدي والمريني، وظل التعليم محصورا في الكتاتيب والمدارس شبيها من ناحية المنهج بما كان عليه في الماضي، وكانت هذه التعاليم تقليدية خالية من العلوم الأخرى، و لم تتعرض لأي تغيير يذكر، يغلب عليها الحفظ (القرآن ،ألفية ابن مالك ....)، ووجد بفاس نحو مائتي كتاب فضلا عن الجوامع والمدارس، وكان التلميذ يتعلم القرآن في سنتين أو ثلاث ثم يعيد قراءته مرة أو أكثر حتى يحفظه عن ظهر قلب في نحو سبع سنوات[2]، أما تدهور هذا القطاع فكان ناتجا عن خراب أملاك الأحباس وبساتينها والسطو عليها[3].

وتأثر المغرب بالجالية الأندلسية الوافدة على البلاد قبل سقوط غرناطة في897 هـ/ 1492م وبعد سقوطها، فأخذوا منهم الفنون الموسيقية وأدخلوا عليها تعديلات مختلفة في ألحانها وأشعارها، وانتخبوا منها أشعارا في المديح النبوي، وبعضهم لحن أشعار الصوفية على نغمات أندلسية لتنشد في محافل الذكر[4].

وعرفت الحالة الاجتماعية في المغرب الفقر الذي آل إليها جمع غفير منهم وغدت الملمح الغالب للسكان في المدن، وأكثر منها في القرى ،وهذا ما يستخلص من كتاب حسن الوزان الذي

---

[1]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص23.

[2]- ابراهيم حركات: المرجع السابق ، ص ص223 . 224.

[3]. محمد العيادي: **محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني** ،أعمال موجهة في التاريخ الديني 1 ،جامعة حسن ثاني ،دار البيضاء ،سلسلة ندوات ومناظرات 8 ،ص40 .

[4]. محمد رزوق: المرجع السابق ،ص 147.

زار المدن والقرى في كل أنحاء المغرب ووصفه للحالة المزرية لسكان المغرب آنداك، وشهدت الحياة الاجتماعية هجرة قسرية خاصة في المناطق التي تعرضت للغزو البرتغالي والإسباني، أو التي تعرضت لويلات القوى الداخلية المتنازعة وهاجرت لمناطق أخرى للحفاظ على حياتها، حيث كان المهاجرون يفقدون منازلهم وأملاكهم مما تسبب في تردي أوضاعهم[1]، بالإضافة إلى الأوبئة والأمراض التي حلت بهم في هذه الفترة ويرجع جزئها الكبير إلى المهاجرين الأندلسيين سواء كانوا مسلمين أو يهودا، فاجتاح هذا الوباء العديد من المدن والأرياف، وشهدت منطقة السوس وباء مروعا مصحوبا بالمجاعة[2]، وعرفت معظم المدن المغربية ضمورا ملحوظا، باستثناء مدينة فاس وتطوان وشفشاون[3]، التي عرفت انتعاشا وكثافة سكانية[4]، وغدت البادية القسم الأعظم والأهم في التعداد السكاني للمغرب إذ كانت تمثل نسبة الثلثين، وكانت تخضع لنظام القبيلة والعشيرة [5]، وتفشت بين السكان في الأرياف وحتى في بعض المدن النزاعات والفتن وانتشار البدع والخرافات[6].

---

(1). عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص48.

(2). محمد رزوق: المرجع السابق ،ص297.

(3). **شفشاون** :تقع بين وزان وتطوان ،وقد تم تأسيسها سنة876 على يد موسى بن راشد من نسل عبد السلام بن مشيش وهو الذي بنى قصبتها وكانت معسكرا تنطلق منه المتطوعة لمقاومة الاحتلال البرتغالي في سواحل البحر المتوسط وبلاد الهبط ،وقد بقيت شفشاون بيد بني راشد أزيد من قرن إلى إن طردهم منها السعديون . ينظر: إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 219.

(4). عمار بن خروف: المرجع السابق ، ص48.

(5). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ، ص18.

(6). عمار بن خروف: المرجع السابق ، ص48.

وتغييرهم القواعد الخمس التي بني عليها الإسلام، وإيمانهم بالكهان وشيوع عادات شرب الخمر، واستعمال الوشم وكذا الغش في المعاملات ويبرز الإمام المبطى حقيقة هامة عن الأوضاع الاجتماعية، وهي أن ضعف إيمان أهل المدن يؤثر على حالة القرى والأرياف وتكون حالتهم أدهى وأمر من حال أهل المدن [1].

وكانت طبقات المجتمع المغربي تتكون من الفقراء والمتقشفين، الفقهاء ورجال الدين، ثم طبقة الأمراء والحكام[2]

[1]- عبد الكريم كريم: المرجع السابق ، ص18.

[2]. نفسه ،ص 19.

المبحث الثالث : ظهور الأشراف السعديين على الساحة المغربية

أدت الأوضاع التي مرت بها المغرب نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، بداية القرن السادس عشر ميلادي لظهور الحركة السعدية في جنوب المغرب و انتشارها في جميع مناطقه بسرعة ودلك راجع للعديد من العوامل أبرزها.

1. نسبهم : يرى المؤرخون المغرب وخاصة أبو العباس الناصري أن أصل العائلة السعدية يرجع إلى ينبع النخل من أرض الحجاز وأنهم أشراف[1]، وتعود شجرة نسبهم إلى محمد النفس الزكية رضي الله عنه وكانوا يرفعون إليه نسبهم، فمثلا أول أمير المؤمنين السعديين أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله **{هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد بن إسماعيل ابن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم }**[2]،ومنه يرجع نسبهم إلى نسل الرسول صلى الله عليه وسلم هاجر أجدادهم من بلاد المشرق

ليستقروا في منطقة درعة[3] في بدأ الأمر[4]، ويعتقد الافراني انه هناك بتر بين قاسم ومحمد النفس الزكية، لأن ليس لمحمد النفس الزكية ابن اسمه قاسم، ولعله سقط قاسم بن محمد بن عبد الاشتر بن محمد النفس الزكية عن دهن من نسخ في نسبهم، ومنهم من قال انه قاسم بن الحسن بن

---

(1). **أشراف**: وهم الدين يتصل عمود نسبهم إلى النسب النبوي وهم يحظون بمكانة رفيعة لدى المغاربة. ينظر :محمد بن حسن بن عقيل بن موسى :**من إعلام القرون** ،ط2 ،دار الأندلس للنشر ،جدة ،د س ،ص 1460.

(2). أبو العباس احمد بن خالد الناصر: المرجع السابق ،ص3.

(3). **درعة**: تحد منطقة درعة غربا منطقة السوس وجزولة ،وتحدها شرقا ،منطقة سجلماسة ،وجنوبا بلاد السود وصحراء ليبيا ،وشمالا تتاخم جبال الأطلس الكبير التي تطل على مملكة مراكش وترجع تسميتها بدرعة إلى النهر الكبير الذي تنفجر عيونه بين بين جبال الأطلس الكبير ،وتتدفق مياهه في اتجاه الجنوب نحو هسكورة ومنها يسير نحو ليبيا، حيث يشكل عدة بحيرات يقصدها الأعراب بإبلهم ،وهي منطقة واسعة تكسوها النخيل :ينظر: مرمول كربخال ،**ج1** : المصدر السابق،ص146.

(4). Rober Rézelle, Op.cit p.25.

محمد ابن عبد الله الاشتر[1]، وهدا ما يؤكده أبو عبد الله المصعب الزبيدي وابن حزم في جمهرتيهما، ويقول الشيخ المسناوي {**أن القاسم الموصول في عمود النسب المذكور بمحمد النفس الزكية ليس هو بابنه المباشر وإنما هو ابن الحسن الأعوربن محمد الكابلى بن عبد الله الأشتر** ....}[2].

وظهر اختلاف في الرؤى والروايات في زمن حكم السعديين في المغرب، أدت إلى ظهور خلافات، وطعن وتشكيك في صحة نسب السعديين الذي يتصل نسبهم بعمود أل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينتسبون لآل بيته في شجرة نسبهم، بحيث يرى البعض الأخر أنهم من بني سعد بن بكر بن هوازن المنحدرة منهم حليمة السعدية ظئر الرسول صلى الله عليه وسلم وهده رواية المقري صاحب (النفح الطيب) وتراجع فيما بعد عن أرائه وأقر بنسبهم الشريف [3]، وقيل أن سبب تسميتهم بالسعديين هو تيمنا بهم لأن بلاد المغرب سعدت في زمانهم ولا صحة للأقاويل القائلة أنهم من بني سعد[4]، بدليل انه أطلق عليهم أيضا تسمية الزيدانيين، نسبة إلى جدهم زيدان بن أحمد، وتسمية السعديين هي التي شاعت استعمالها في اسم دولتهم في المصادر الغربية والمراجع العربية التي ألفت بعد زوال دولتهم[5]، ويرى المؤرخ المعاصر عبد الكريم الفيلالي، أن

---

[1]. أبو العباس احمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ص 43.

[2]. محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تص هوداس، انجي ،1888 ب د ،ص 4.

[3]. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق ،ص 4.

[4]. محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق ،ص7.

[5]. عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 50.

أصول السعديين تعود إلى ذرية إدريس الثاني ابن إدريس ابن عبد الله الكامل، وهي سلالة الشريف أمغار المعروفة في المنطقة[1].

ولكن المقولة الراجحة في نسبهم أنهم أبناء عم العلويين الذين يلتقون معهم في عمود نسبهم في محمد بن القاسم بن محمد النفس الزكية[2]، ويثبت صحة هذه الرواية الزياني صاحب الترجمان المغرب عند حديثه مع أمير المؤمنين محمد بن عبد الله حيث قال {**أسكت ،ولا تعد لمثل هده المقالة، فإنهم إخواننا وبنو عمنا ،وجدنا واحد ،وقريتنا بالينبوع واحدة، يقال لها بنو إبراهيم**}[3] وذكر أن جدهم سبقهم بالقدوم إلى المغرب بقوله: **وجدهم أحمد، خرج للمغرب قبل جدنا الحسن بنحو الثلاثين سنة وهما إخوان .....**}[4]، وكان كل ما قيل عن عدم اتصال نسب السعديين بالبيت النبوي قدح وطعن في نسبهم، وكل ما قاله السالف السابق للبيت العلوي راجع للتقصير في احترامهم وتعظيمهم، فحقدوا عليهم لإهمالهم وعدم وقوف السعديين بجانب العلويين بقوله {**إلا أنهم لما صار إليهم ملك المغرب، لم يعاملونا معاملة الإخوان ،واقتصروا على التوقير والاحترام ،فكان سلفنا رحمهم الله يحقدون عليهم بسبب دلك الإهمال وعدم المبالاة**}[5].

---

[1]. عبد الكريم الفيلالي: **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير** ،ج3 ،ط1 ،ب د ،القاهرة ،2006 ،ص291.

[2]. **محمد النفس الزكية**: هو ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المتنى ابن الحسن السبط ابن علي ابن أبي طالب وفاطمة أبنت الرسول صلى الله عليه وسلم ،وهو احد إخوة إدريس، أبي القاسم بن احمد بن علي بن إبراهيم الزياني .ينظر:**جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان** ،تح عبد المجيد خيالي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،لبنان ،2003 ،ص70.

[3]. أبو القاسم الزياني: **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف** ،ج1 ،تح رشيد الزاوية ،ط1 ،الشركة المغربية للطبع والنشر ،الرباط ،1992 ،ص 31.

[4]. إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص242.

[5]. أبو القاسم الزياني: المرجع السابق ،ص31.

وطعن بنو وطاس في نسبهم وإتخدوها وسيلة لمقاومتهم وتنفير العامة منهم في بدء دعوتهم، فالمصادر التاريخية المختلفة و المعاصرة منها تثبت هدا النسب الشريف، فان كلمة الأشياخ قد إتفقت على أن عبد الله محمد القائم بأمر الله كان توليه لأمر الناس بإشارة من صلحاء قومه و العلماء العالمين، وهذا كافي لإثبات صحة نسبهم الشريف عند المغاربة، وإلا لما خصوه بالإمامة العظمى التي لا يتشرف بها ولا يمتطي صهوتها ولا ينالها إلا شريف النسب[1].

2 دخول السعديين للمغرب وبداية دعوتهم

يعرف عن الشعوب المغربية وبالأخص شعب المغرب الأقصى حبها الشديد للنسب الشريف، وتهفوا أنفسهم حبا وشغفا لوجود سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم في أرض المغاربة، ويرون أنهم أقدر وأصلح وأنسب الناس قيادة للبلاد للحفاظ على أمور الدين والدنيا ،وقد شهدت الأراضي المغاربية وجود أحفاد النسب الشريف الموصول بأحفاد الرسول صلى عليه وسلم الحسن والحسين مند عصور مبكرة من الدعوة الإسلامية ،وتمثلت أول وافد علوي إلى المنطقة في إدريس ابن عبد الله العلوي[2]، الذي فر من مدبحة فخ بالحجاز التي أوقعها بهم العباسيون، وحكمت درية إدريس المغرب مدة طويلة من الزمن في المغرب (658.788م)، وكان فكر المغاربة إيجابي ومحبا للسلالة الشريفة وبمجرد إحساسهم بخطر يحدق نحو الأراضي المغاربية، أو سوء الأحوال الاجتماعية يقومون

---

[1]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص40.

[2]. **إدريس ابن عبد الله العلوي**: ويسمى بالداخل وهو ابن عبد الله ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي ابن أبي طالب وفاطمة ابنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو المؤسس الأول للدولة الادريسية بالمغرب ، أبي القاسم بن احمد بن علي بن إبراهيم الزياني .ينظر :المرجع السابق ، ص ص70.71 .

بالإلتجاء مباشرتا إلى الأشراف لانقاد البلاد [1]، فكان للسعديين حظ في التواجد في المغرب وإعتلائهم السلطة فيما بعد، ودلك لان أهل درعة لم تكن تصلح ثمارهم وتعتريهم الأمراض والأوبئة وتفتك بيهم فقيل لهم {**لو أتيتم شريف إلى بلادكم، كما أتى أهل سجلماسة، لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم** } [2].

وكان السعديين يعيشون في القرية الواقعة على ساحل البحر الأحمر بالقرب من المدينة المنورة وهي قرية من أعمال مدينة ينبع، وفي موسم الحج تفاوض أهل سجلماسة مع الشريف من الحسنيين ابن الحسن لسير معهم إلى المغرب فلقب بالداخل، وعمل أهل درعة على استقدام شريف فقدم إليهم من ينبع مولاي زيدان ابن أحمد[3]، وهناك روايات أخرى تقول أن جدهم الأكبر أحمد بن محمد بن علي القاسم والد زيدان هو أول من قدم إلى المغرب وأنه قدم إلى منطقة السوس وكان يحفظ الصبيان القرآن الكريم، ويشتغل في التعليم ومن تم فقد كان أفراد البيت السعدي مند أن وطئت أقدامهم التراب المغربي يشتغلون في تعليم الصبيان تدريس القرآن والعلوم الإسلامية في المنطقة وكان الفقه والتعليم والعبادة نهج حياتهم [4]، ويقال أنهم قدموا في أوائل القرن الثامن هجري في عهد بني مرين واستقروا قرب زكورة عند تاكمادارت [5].

---

(1)- موسوعة تاريخ المغرب العربي ،ج6 ،ط1 ،القاهرة ،1994 ،ص110.

(2). شوقي أبو خليل: **وادي المخازن** ،ط1 ،دار الفكر ،دمشق ،1988 ،ص 31.

(3). موسوعة المغرب العربي: المرجع السابق،ص 116.

(4). موسوعة المغرب العربي :المرجع السابق ،ص 117.

(5). إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص 243.

ظل السعديون يعيشون حياة بسيطة بنواحي درعة حتى مطلع القرن 10هـ / 16م، حيث ظهر من بني سعد أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله، ولم تمارس هذه الأسرة سلطة رسمية في عهد المرينيين والوطاسيين شأنهم شأن بني عمومتهم العلويين [1]، ونشأ أبو عبد الله محمد على العفاف والصلاح وحج بيت الحرام ،لقى جماعة من العلماء الإعلام والصلحاء العظام في وفادته على الحرمين الشريفين، والتقى رجلا صالحا فأخبره بما يكون منه ومن ولديه وكان رأى رؤيا أن أسدين خرجا من احليله فتبعهما الناس ، فعبرت رؤياه أن يكون لوالديه شأن كبير وأنهما سيملكان الناس [2]، وبعد رجوعه للمغرب شرع لدعوة الناس في المغرب، فيخبر الناس في كل محفل أن ولديه سيملكان المغرب يوما ما وسيكون لهما شأن عظيم ثقة برجل الصالح الذي أخبره الرؤيا التي رآها فيه ،فما زال ينشر دعوته إلى أن قام سنة خمس عشر وتسعمائة هجرية[3].

وهناك رواية أخرى مفادها أن أبناء أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله، أحمد الأعرج، وأخاه محمد الشيخ كانوا ذات يوم يقرأون بالمحاضر وهم صغار في السن، بين يدي المعلم، فإذا بديك طار ونزل على رأس محمد الشيخ، وصاح مرتين أو ثلاث، فخرج الفقيه المعلم لأهل القرية وأعلمهم بدلك وسألوه وما داك ياسيدي، قال لهم سيكون لهدين الشابين شأن عظيم وسيملكان المغرب وصار أهل تكمادارت يرتقبون أمرهم وقتا بعد وقت[4]، في وقت شهدت فيه الدولة الوطاسية ضعف شديد ودبت عوامل الانحلال في جسمها واقتصرت سيطرتها على جزء يسير من

---

(1). نفسه ،ص244.

(2). محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق ، ص ص 9 . 10.

(3). أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق ،ص 6.

(4). مجهول: **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية** ،تح عبد الرحيم بنحادة ،ط1 ،دار تينمل ،فاس المغرب ،1994 ،ص12.

المغرب ومحصور في مدينة فاس وأحوازها، ولم تكن لديها القوة الكافية للقيام بدور حاسم في السواحل الجنوبية الغربية [1]، التي كانت تعاني من ويلات البرتغاليين وتخشى توسعه في الناحية الشمالية لمنطقة السوس[2]، بعد إن تبث البرتغاليين أقدامهم في مدينة أكادير وبنوا فيها حصن سنة 921هـ/ 1515م[3].

تخوف سكان السوس من تغلغل هذا الاحتلال فقاموا بردة فعل قوية في الداخل إذ ظهرت حركات تدعوا إلى حمل السلاح والتقدم لتحرير الأراضي المغتصبة، وأصبح التصدي للمحتل مبني على مدى استجابة المغاربة للنداء، وكانت الأعراب تتمنى أن يقيد الله للمغرب قيادة تحل محل الوطاسيين الدين أوصلوا البلاد لهذا الحال، وجل أمانيهم إن يحكمهم حاكما عادلا مؤمنا يعود بالناس إلى الطريق المستقيم وينشر الأمن والطمأنينة في البلاد ويحميها من الأخطار التي تهددها[4].

ولما تفاقمت الأحوال في المغرب من تشتت وتفرق، وكثرت الأهوال من أمراض وأوبئة ومجاعات، بالإضافة إلى تمكن الابيريين من الاستيلاء على معظم السواحل المغربية ،فلم يكتفي العدو المسيحي بالساحل فحسب بل أراد أن يتوغل في الداخل، وإشتد طمعه في منطقة السوس ،فما كان من سكان المنطقة إلى أن يجتمعوا، فاجتمعت قبائل السوس وذهبوا إلى الشيخ الصالح

---

[1]. عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي ،ج1 ،ط2 ،ص234.

[2]. **السوس**: هي منطقة تقع في الجنوب المغربي فيها مدينة صغيرة تسمى تارودانت وهي حضارة السوس وإليها يجتمع أهلها .ينظر: محمد بن عبد الواحد بن علي ،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،تح صلاح الدين الهواري ،ط1 ،المكتبة العضيرية ،بيروت ،2006 ،ص258 .

[3]. إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص 244.

[4]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص33.

أبي عبد الله محمد بن مبارك الأقاوي[1] نسبة إلى آقا في منطقة السوس، وعبروا له عما أصاب حالهم من تفرق الكلمة وانتشار الجماعات وتكالب العدو عليهم، وطلبوا منه إن يعقدوا له البيعة وتجتمع كلمتهم عليه فرفض ذلك، وقال إن رجلا شريفا بتكمدارت[2] بدرعة وقال لهم إنه يقول **{إنه سيكون له ولولديه شأن ،فلو بعثتم إليه وبايعتموه كان أنسب بكم وأليق بمقصودكم}**[3].

ويرجع الأفراني البداية الأولى للسعديين على حسب ما رأى بخط الفقيه العلامة أبي زيد عبد الرحمان ابن الشيخ بجماعة أبي محمد عبد القادر الفاسي في قوله عن ما ذكره والده عن سيدي أحمد بن علي السوس البورسعيدي، أن ابتداء دولة الشرفاء بالسوس يعود إلى سيدي بركات[4] الذي توسط في فداء بعض الأسرى، وإبراز إتفاق مع النصارى على أن لا يحبسوا أسيرا فقال له العدو النصراني أن لا يكون إتفاقا حتى يكون لكم أميرا فإن ملككم ذهب واضمحل، وطلبوا منه أن يبيعوه بعد استردادهم لأمتعتهم فأشار إلى الشريف السعدي أبي عبد الله محمد[5]، و بدأت بيعته في منطقة السوس سنة915هـ /1509 م، فبايعه الشيوخ والقضاة والفقهاء من

---

(1). **أبي عبد الله محمد بن مبارك الأقاوي:** هو زعيم زاوية أقا ،وكان هدا الرجل أعجوبة من أعاجيب الدهر مرهف سريع الإجابة متمكنا من المقام وقد وضع أيام معلومة سيدي محمد بن لا يحمل السلاح :ينظر :محمد الصغير الأفراني ،المرجع السابق ،ص69.

(1) . **تكمدارت:** تقع في فزواطة بوادي درعة قاعدتها الآن هي امزور وتحتوي على زكورة وزاوية البركة وسيرت وغيرها :ينظر: ابو العباس أحمد بن خالد الناصري :المرجع السابق ،ص 7.

(2). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص 7.

(3). محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق ،ص11.

(4). **بركات** : واسمه بركة بن محمد بن أبي بكر، وقيل بركات بن محمد أبي بكر ويكنى بسيدي بركات التيدسي بحكم نزوله في تيدسي بضواحي تارودانت بسوس الأقصى .ينظر: أحمد الوارث :**الطريقة الجزولية (التصوف والتشرف والسلطة في المغرب الحديث)** ،ط1 ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء المغرب ،1431هـ .2010م ،ص147.

(2) . محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق ،ص11.

المصامدة[1]، وهكذا تم العثور أخيرا على من يوحد كلمتهم ويجتمعون تحت ولائه في شخص أبي عبد الله محمد الشريف الحسني، فأخذ الناس يبايعونه ويستبشرون بنسبه، وحين تمت له البيعة أطلق عليه تسمية القائم بأمر الله[2]، وكان ذلك في عهد أبي عبد الله البرتغالي الوطاسي، واستقر القائم بأمر الله بتيدسي[3]، وهكذا أصبح القائم بأمر الله يحكم أحوال الناس في الجنوب ،ويعتبر أول مؤسس للدولة السعدية في المغرب 923هـ/ 1517م متخذا من تارودانت مكانا للقيادة، وعمل على تنظيم قبائل المنطقة لمواجهة الغازي البرتغالي، وشرائه للأسلحة من الاروبيين أعداء البرتغاليين[4]، وبهذا شكلت منطقة السوس منطلقا لحركة سياسية جديدة تتولى إدارة شؤون البلاد في ظل تقاعس الوطاسيين عن مواجهة الوضع[5] .

ومما سبق يمكن القول

– الأوضاع المغاربية خلال القرن التاسع هجري، الخامس عشر ميلادي، التي شهدت ظروف سياسية صعبة متمثلة في ضعف وانحلال الدولة الوطاسية في شتى ميادينها وظهور إمارات شبه مستقلة ووحدات سياسية متصارعة فيما بينها.

---

(1). إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص 244.

(2). شوقي ضيف: **عصر الدول والأمارات** ،ط1 ،دار المعارف ،القاهرة ،1995م ،ص 291.

(3). إبراهيم حركات: المرجع السابق،ص 244.

(4). Rober Rézelle,Les enclaves espagnoles au Maroc , Paris, Nouvelles éditions latines,1967 , p.25.

(5). زهراء النظام: **العلاقات المغربية الجزائرية (مقاربة سياسية ـ ثقافية خلال القرن 10هـ/16م)** ،ط1 ،منشورات دار الأمان ،الرباط ،1436هـ/2015،ص63 .

– مساهمة الغزوات الأيبيرية في ضعف الحكم الوطاسي بالمغرب وظهور جمعات محلية بعيدة عن مركز السلطة مقاومة للعدو البرتغالي الغازي للسواحل المغربية.

– ظهور الأشراف السعديين في الساحة المغاربية بعد نشرهم لدعوتهم ومباركتها من طرف المغاربة ،لحبهم التاريخي لذوي النسب الشريف ومنحهم زمام أمور الحكم.

– السعديون من منطقة معزولة في المغرب إلى الركوب في الفلك وبروزهم ونشر دعوتهم في المغرب ومبايعتهم من طرف المغاربة.

– التشكيك في نسب السعديين واختلاف الرواة والمؤرخين في نسبهم الشريف وزمن دخولهم إلى الأراضي المغاربية.

الفصل الثاني

دور الزوايا والطرق الصوفية في نشر الدعوة السعدية بين القبائل المغربية

- المبحث الأول: تعريف الزاوية و الطريقة و التصوف.
- المبحث الثاني: الزجولين و دورهم في نشر الدعوة السعدية
- المبحث الثالث: القبائل التي ساعدت السعديين في البروز(قبائل السوس، هنتاتة ،الشاوية).

الفصل الثاني: دور الزوايا والطرق الصوفية في نشر الدعوة السعدية بين القبائل المغربية

يعتبر الدين اللبنة الأساسية في تكوين الأطر والأنظمة الاجتماعية سواء كان بدائيا أم تقليديا، والدين قديم قدم الإنسان، والفرد بحاجته لتسيير مختلف شؤونه، وقد كان للجانب الديني في المغرب الأقصى عبر تاريخه الإسلامي دور كبير في قيام دول وانهيارها، والدولة السعدية واحدة من هذه التي كان لهذا الجانب دور فعال في قيامها.

المبحث الأول: تعريف الزاوية و الطريقة و التصوف

رافق مرحلة الفوضى التي خيمت على المغرب الأقصى مطلع العصر الحديث تطور في الحركة الصوفية،كما أن الأزمات التي توالت عليه،والفراغ الذي خلفه غياب السلطة في كثير من الجهات، أدى إلى بروز القوى الدينية وتوسع نطاقها الثقافي والسياسي في جهات واسعة من بلاد المغرب[1] والمقصود بالقوى الدينية كل من الزوايا والطرق الصوفية، التي تعددت مفاهيمها لدى المؤرخين والأدباء والفلاسفة، وتمثلت مفاهيم كل من الزاوية والطريقة والتصوف في ما يلي:

1. الزاوية :تعددت التعريفات اللغوية للزاوية ،والزاوية في الأصل يرد ذكرها في ركن البناء، والزاوية في **اللغة** من الانزواء والانطواء والانعزال والبعد عن حياة العامة والأسواق،وتفيد مادة زوي معنى الجمع والقبض وفي حديث شريف قال الرسول صلى الله عليه وسلم { **إن الله زوي لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها** } ومنها اشتق مصطلح الانزواء أي العزلة والابتعاد عن الناس[2] ،وانزوى

---

[1]. زهراء النظام: المرجع السابق ،ص32.

[2]. حسن جلاب: **الحركة الصوفية بمراكش ،ظاهرة سبعة رجال** ،ط1 ،المطبعة والوراقة الواطنية،مراكش ،1994 ،ص26.

الشيء أو زواه بمعنى قبضه ،وانزوى القوم بعضهم إلى بعض أي تدانوا وتضامنوا ،وانزوى الفرد أي انعزل واعتزل الناس وركن إلى زاوية من الزوايا ،وتفرد بنفسه[1].

وفي التعريف **الاصطلاحي** :هي عبارة عن مسجد صغير مجاور أو مقابل لمسجد كبير وهي موضع مخصص لإقامة الوافدين وإطعام المحتاجين[2]، وتعتبر الزاوية محطة للعابر والمقيم، فالأول يتخذها مسكنا مؤقتا أو مبيتا ثم يتابع مسيرته، فيما يتخذها الثاني مكانا لطلب العلم والذكر،وتسمى بدار الضيافة ،ودار الكرامة[3] ، ولم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني أو علمي إلا بعد الرباط[4] والرابطة، والرباط مذكور في كتاب الله قال تعالى {**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** }[5]، وقوله أيضا في سورة آل عمران {**يأيها الدين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** }[6]، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم "**رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه**"[7] .

---

[1]. حسن جلاب: المرجع السابق ،ص26.

[2]. نفسه ،ص26.

[3]. محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصري: **المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا** ،تح عبد المجيد خيالي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،2003 ،ص31.

[4]. **الرباط**: ما يشد به الصدر ويحمل معنيين؛ الأول ملازمة ثغر العدو، والثاني المواظبة على الأمر هذا من الناحية اللغوية ،أما الاصطلاحية فهو حبس النفس في الجهاد والحراسة ،ويعتبر هذا المصطلح عند الصوفية مكان للعبادة . ينظر: حسن جلاب: المرجع السابق ،ص25.

[5]. سورة الأنفال ،الآية 60.

[6]. سورة آل عمران ،الآية 200.

[7]. حديث شريف ،رواه مسلم (1913).

والزاوية عبارة عن مكان معد للعبادة وإيواء الواردين المحتاجين، وتختلف تعريفاتها بين المشرق والمغرب[1]، ففي المشرق يطلق عليها تسمية خانقاه وهو لفظ أعجمي يجمع على خانقهات، خانقاوات[2]، أو خوانق ،والزاوية المغاربية تعرف على أنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة ،وتشبه الدير في أروبا في العصور الوسطى من خلال أوصافها ولم تظهر الزاوية في المغرب في مسماها الجديد إلى في القرن الثالث عشر الميلادي بعد ظهور المرابطين[3]، فالزاوية في المغرب تتوفر على رأس مال رمزي تعددي يتكون من الشرف والصلاح والعلم والكرامة، ورأس مال آخر مادي يتم ظهر في الملكية العقارية والإعفاءات من الكلف المخزنية، فالأسس الرمزية للزاوية منافسة لتلك التي يستند عليها المخزن[4].

وانتشرت الزوايا في تاريخ المغرب في القرن الثالث عشر ميلادي وعرفت في بادئ الأمر ب "دار الكرامة" كتلك التي بناها يعقوب المنصور الموحدي في مدينة مراكش ثم أطلق عليها "دار الضيافة"، وانتشرت في عهد المرينين نظرا لبناه المرينيون العديد من الزوايا، وقد كان السلطان أبو يوسف يعقوب المريني يهدف إلى جعلها دورا لاستقبال الغرباء والوافدين من الخارج من كبار رجالات الدولة وأعيانها، كما خصص السلطان أبو عنان الوافدين على الزوايا طعاما يوميا فهيأ بذلك الجو لاستقبال المريدين في ما بعد، وهو الذي أسس الزاوية العظمى في مدينة فاس[5].

---

(1). محمد حجي: **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ،ط 1 ،المطبعة الوطنية ،الرباط ،1964 ،ص23. 25.

(2). عبد العزيز عموري: **من تاريخ التصوف في المغرب**،مؤمنون بلا حدود ،مقال ،ص 6.

(3). محمد حجي: المرجع نفسه ،ص25.

(4). عبد الرحيم العطري: **الرحمنة (القبيلة بين المخزن والزاوية)** ،ط4 ،دفاتر العلوم الإنسانية ،الرباط ،2013 ،ص103.

(5). محمد حجي: المرجع السابق ،ص24.

وبحلول القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي انتشرت الزوايا بالمغرب مما دفع المرينيين إلى تطويرها، وقد ظهر في هذا العصر العديد من رجالات التصوف،كما انتعشت الزوايا بشكل كبير مند القرن السادس عشر الميلادي، أي بعد هزيمة المسلمين بالأندلس وامتداد أطماع الإيبيريين إلى الثغور المغربية[1].

2 **الطريقة:**وتعريفها **اللغوي** هي الطريقة والسيرة ويقال:ما زال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة، وفلان حسن الطريقة، والطريقة حال قال تعالى {**وأن لو استقاموا على الطريقة**}[2]، أي لو استقاموا على طريق الهدى[3].

أما التعريف **الاصطلاحي** فهو الطريق بمعنى المسلك عند الاستعمال وورد مصطلح الطريق والطرق في مقدمة ابن خلدون في قوله {**كتب رجال من أهل الطرقةفي طريقهم فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك**}[4].

ظهرت المعالم الأولى للطريقة في المغرب في العهد الموحدي، وكان أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي أول من أسس الطريقة نتيجة لما آلت إليه الأوضاع الاجتماعية في المغرب في القرن

---

(1)- نفسه ،ص24.

(2) . سورة الجن ،آية 28.

(3). أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب** ،ج9 ،دار الصادق للطباعة ،بيروت ،1968 ،ص221.

(4). عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: **المقدمة** ،دار المكتبة الهلال ،بيروت ،1991،ص395.

الرابع عشر، وكانت حركة الطريقة في المغرب متناقضة مع حركة الصلحاء، وكذا الخصوصيات المحلية، وهي بذلك تسعى إلى تجاوز النظام القبلي[1].

للطريقة ثلاث مميزات وهي:

أ- المناداة بتطبيق الشرع.

ب - الرغبة في القضاء على النظام القبلي وإلغاء الفروقات الاجتماعية وتوحيد المجتمع.

ج - الإرتباط بالحاضرة (المدينة) غالبا.

وللطريقة أنماط نظرية وتاريخية تميزت بها في المغرب في الفترة الوسيطة والحديثة وهي:

أ- إنها عبارة عن مؤسسة فعالة في اختيار الحكم.

ب- تعتبر هيئة حريصة على حماية الأوضاع السياسية المطابقة الشرع.

ج - الطريقة كمصدر لسلطة احتياطية.

أصبحت الطريقة ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي هي المؤسسة المؤهلة لتزويد البلاد بنظام حكم يقوم بتنفيذ الأحكام القانونية، وظلت هي الوصية على حماية الشرع، وتقوم بتعويض الحاكم إذا قام بخرقه ولم يعد قادرا على القيام بواجباته السياسية والدينية[2]، فالطريقة هي إتباع أحد المناهج المعينة للوصول إلى مرضاة الله.

3. التصوف:تعددت تعاريفه ومشتقاته اللغوية وكانت على النحو التالي:

---

[1]- محمد ظريف: **مؤسسة الزوايا بالمغرب** ،ط1 ،منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي ،المغرب ،1992 ،ص 36.

[2]. محمد ظريف: المرجع السابق ،ص37.

حيث يرى ابن عجيبة أن الكلمة مشتقة من **الصوفة**، لأن الصوفي مع الله تعالى كالصوفة المطروحة، نظرا لاستسلام المتصوف لله تعالى[1].

وقال الحافظ أبو نعيم أنه مشتق من **الصفاء** أو من **الصوفانة** أو من **صوفة** أو من **صوفة القفا** أما من الصفاء فلصفاء قلوبهم، وأما من الصوفانة، وهي بقلة فلاجتزائهم بأكلها عن الطعام، وأما من صوفة فهي قبيلة كانت تجيز الحاج على وجه الدهر أي كأنهم مجتهدون في أفعالهم، وأما من صوفة القفا فلانعطافهم على الطاعات كانعطاف صوفة القفا عليه[2].

ومنهم من قال أن الاسم مشتق من **الصفة**، إذا جملت صفات العبد بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة[3].

وقيل أن لفظ التصوف منسوب إلى **الصفة**، وهي موضع من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لقرب أوصاف الصوفية من أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [4].

وقالت طائفة أن مصطلح التصوف مشتق من كلمة **الصف** في قولهم **فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله تعالى، وتسابقهم في سائر الطاعات** [5].

ومنهم من قالوا إنما سموا صوفية **للبسهم الصوف** الذي اشتهر به الصوفية [1] .

---

[1]. عبد القادر عيسى: **حقائق عن التصوف** ،ورثة المؤلف،موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية ،2001 ، ص9.

[2]. عبد الحق بن إسماعيل الباديسي: **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف** ،تح سعيد أعراب ،ط2 ،ب د،الرباط –المغرب ،1993/1414 ،ص37.

[3]. عبد القادر عيسى: المرجع السابق ،ص9.

[4]. محمد بركات البيلي: **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري** ،دار النهضة العربية ،القاهرة ،1993 ،ص56.

[5]. عبد القادر عيسى: المرجع السابق ،ص9.

ومنهم من قال من **الصُفة**، لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف لقوله تعالى { **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي** }[2]، ومنهم من قال أنه من لبس الخشن لأن الصوفية كانوا يؤثرون على أنفسهم بالتقشف والاخشيشان[3].

وهناك من نسبها إلى **صوفية اليونانية**، حيث يرى بعض المستشرقين أن أصل المصطلح يوناني ويعني الحكمة، وعند فلاسفة العرب وجدت اسم (أثيوصوفيا) وهي كلمة مركبة تعني حب الحكمة الإلهية[4]، ولم يتم تحديد مصطلح لغوي متفق عليه بين المؤرخين والأدباء للتصوف.

وفي مقدمة ابن خلدون ونقلا عن القشيري إن هذا الاسم غير مشتق بقوله {**ولا يشهد لهدا الاسم اشتقاق من جهة العربة ولا قياس والظاهر أنه لقب** }[5].

أما في ما يخص تعريفه **الاصطلاحي**، فلم يتفق على مفهوم واحد لدى المؤرخين والفلاسفة والأدباء وعلماء الاجتماع، ولكن نقطة التشابه في سردهم للصوفية تكمن في التخلي عن الأمور الدنيوية وعزف النفس عنها وترك الأوطان ولزوم الأسفار ومنع النفوس حظوظها وصفاء المعاملات وصفوة الأسرار وانشراح الصدور وصفة للسباق[6].

---

(1). إحسان إلهي ظهير: **التصوف المنشأ والمصادر** ،ط1 ،إدارة ترجمان السنة ،باكستان ،1986 ،ص21.

(2). سورة الكهف ،الآية 28.

(3). عبد القادر عيسى: المرجع السابق ،ص10.

(4). نصيرة بوشارب: **التصوف في بجاية ق (06 .09هـ /15.12م)** ،رسالة ماستر،جامعة غرداية ، 1437.1436هـ/2015 .2016 م ،ص27.

(5). بن خلدون: المصدر السابق، ص393 .

(6). احسان الهي ظهير: المرجع السابق ،ص24.

أما في ما يخص الظهور الأول للتصوف فاختلفت الروايات فيقال: أن الظهور الأول كان مند عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حين قام ببناء زاوية خارج مسجد الصفاء بالمدينة المنورة ذات حيطان ثلاثة، فكان فقراء المسلمين وخاصة المهاجرين يأوون إليها اتقاء الحر والبرد [1]، وورد لفظ الصوفي لأول مرة في التاريخ الإسلامي في النصف الثاني من القرن الثامن ميلادي، وأطلقت على أبي هشام الكوفي المتوفي سنة 150هـ، ويقال أن عالم الكيمياء جابر بن حيان أول من نعت بها، أما صيغة الجمع الصوفية فظهرت عام 814م[2]، وتفلسف الصوفيون في مصطلحاتهم ووضعوا شروطا لمذهبهم وطقوسا خاصة بهم كالسماع ولبس الصوف الذي نسب إليهم في الغالب، ومع مرور الزمن أصبح للمتصوفة كرامات ومريدون وأصبح لديهم طرق خاصة ببعض المتصوفة، وانتشر التصوف في العديد من المناطق الإسلامية حيث سكن بعض المتصوفة في الكهوف وأخرون على قمم الجبال وبعضهم على شاطىء البحر[3].

كما عرفت المغرب ظهور الأقطاب الأولى للمتصوفة في عهد المرابطين، وقد شقت الصوفية طريقها إلى المغرب وهي تنبني على محاسبة النفس محاسبة عسيرة واسترسال النفس مع الله، وكان الصوفية يحملون أنفسهم على التجرد على أتفه الهفوات، وهذه المعاملات خلقت هوة بينهم وبين الفقهاء[4]، فظهر خلاف مذهبي بين المتصوفة والفقهاء في العصر الموحدي ورغم كونه صراعا

---

[1]. سميح عاطف زين: **الصوفية في نظر الاسلام** ،ط3 ،دار الكتاب اللبناني ، لبنان ،1985 ،ص14.

[2]. احسان الهي ظهير: المرجع السابق،ص41.

[3]. ابراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، ج1، ط2000، دار الرشاد، الدار البيضاء، 2000، ص ص 181.180

[4]. ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص79.78.

دينيا، إلا أنه برز في الجانب السياسي للموحدين الذين أججوا هذا الاختلاف للاستفادة منه خوفا من الصراع بينهم وبين المتصوفة، والذي بدأت ملامحه تبرز في الأفق [1].

[1]. عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي: **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فأس وما يليها من البلاد**، ج1، تح محمد الشريف، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 2002، ص ص 78.77.

المبحث الثاني: الزجولين ودورهم في نشر الدعوة السعدية

حين تم التأكيد على عدم جدوى الحكام وعجزهم في القضاء على التفكك في البلاد، وعدم قدرتهم على مجابهة الغزاة، تولت الطرق الصوفية و الزوايا مهمة التعبئة في المدن والبوادي[1]، ولعل أبرز الطرق الصوفية التي برزت في عملية التجنيد في البوادي الطريقة الجزولية، فكيف برز دور هذه الأخيرة في قيام النواة الأولى للسعديين في المغرب؟

1. الطريقة الجزولية: تنتسب إلى جزولة[2] أو كزولة، وأول أقطابها أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني، الذي عاش حياته برمتها في ظل الأزمات التي عصفت بالمغرب بعد وفاة أبي عنان المريني عام 759هـ/1358م، فأراد أن يخرج القوم من الأزمة التي وقعت في المغرب، و كتب كتابه دلائل الخيرات و أصبحت تلاوته مقرونة بتلاوة القرآن [3].

في وقت كانت الدولة المرينية تتداعى وتعاني الويلات، وتتقلص قاعدتها بعد أن قطعت قبائل الجبال والأرياف صلتها بها لما كانت تسلطه عليها من جباية مجحفة.

قضى الجزولي مدة أربعة عشر عاما في التهجد بفاس، ملتزما بتعاليم التصوف الإسلامي متمسكا بتعاليم الصوفية التي تنتهج الذكر والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى وصل

---

[1]. زهراء النظام: المرجع السابق، ص 32.

[2]. **جزولة:** وهي منطقة عامرة بالسكان، تتاخم غربا جبال سوس ايلدا، وشمالا الأطلس حيث تقع في سفحة تقريبا، وشرقا إقليم حاحة، ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص 144.

[3]. أحمد الوارث: المرجع السابق، ص17.

الإمام الجزولي إلى درجة القطبانية[1]، حيث عرف عنه أنه العالم العارف الولي الصالح القطب نخبة الدهر ووحيد العصر، ومحي الطريقة الصوفية بالمغرب بعد درسها وكشف الحقيقة عند طمسها[2].

ظهرت الدعوة الجزولية، وقام شيخها الشريف محمد بن سليمان الجزولي مناديا لدعوته حتى التف حوله الأتباع من أفوقال ببلاد حاحة[3]، وبعد أن تم تأسيس الطريقة الجزولية من طرف الإمام الجزولي من هذا الإمام، أصبح للطريقة الجزولية في المغرب الأقصى دور في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهي التي تركت أثرا كبيرا في المغرب، وكان للجزولي دور في تغيير نمط الحياة في المغرب بمختلف أشكالها، فهو الذي جدد الطريقة الشاذلية[4].

واهتم الشيخ الجزولي بتنظيم أتباعه، وذلك بتأسيس عدد من الزوايا في الجنوب غير أن اغتياله كان في تاريخ اختلف في شأنه (يتراوح بين سنة 869هـ/1465 و875هـ/1471م) قد حال دون تبلور هذه التجربة القائمة على الشرف والولاية معا[5]، وكان لأصحابه وتلاميذه وأتباعه دور في نشرها في أنحاء الأراضي المغربية الذين أخذوا منه، و تفرقوا في البلاد، فأخذ عنهم الناس وانتشر أتباعهم في كل أنحاء المغرب، وأسسوا زوايا في مختلف مناطق المغرب وأصبح لهم مكانة في الحياة

---

(1). **القطبانية:** وهو مصطلح صوفي يطلق على مرتبة قطب الأقطاب، وهو باطن نبوة ،محمد صلى الله عليه وسلم فلا يكون إلا لورثته، لاختصاصه عليه السلام **بالإكمالية**، فلا يكون خاتم الولاية قطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة، ينظر: عبد الرزاق الكاشاني: **اصطلاحات الصوفية**، تح عبد العال شاهين، ط1، دار المنار، القاهرة، 1992، ص162.

(2). أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، كلية العلوم الإنسانية، طرابلس، 1989.1398، ص317.

(3). جمال بن طاهر وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص16.

(4). ينظر الملحق 3.

(5)- أحمد القبلي: **تاريخ المغرب (تحيين وتركيب)**، ط1، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011، ص305.

السياسية والاقتصادية والثقافية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، حيث انتشرت طريقة هذا الإمام وأصبحت أهم الزوايا في المغرب تتفرع عنها، وفي هذا الصدد يقول ابن أبي محلي **{ فالجزولي إذا شيخ العصابة بالمغرب وإمام الأئمة بالشهادة والغيب وإليه تنتهي الطريقة المثلى الحنيفة البيضاء وهي طريقة الهمة ....** وصار له من المريدين ما يزيد على الآلاف[1]، وقد كانت بلاد السوس هي الموطن الأول الذي نشأت به الطريقة الجزولية[2].

2 . دور الجزوليين في نشر الدعوة السعدية

عرفت هده الحركة انتشارا واسعا في المغرب وتمركزت واشتد عودها في بلاد السوس على يدي التابع سيدي أحمد أو موسى الجزولي، وفي المقابل ظهر السعيد أو عبد النعيم في بلاد حاحة، وهكذا برز الولي رمزا للرفض القبلي وسلطة بديلة عن السلطان الوطاسي الفاشل والمتواطئ مع العدو المسيحي[3].

وفي القرن 9هـ/15م ظهر في منطقة الجنوب المغربي أحد أتباع الطائفة الجزولية والمتمثل في شخص محمد بن مبارك الأقاوي، تلميذ الإمام الجزولي، والذي كانت له سلطة روحية عظيمة على سكان السوس، وكان شيخا لزاوية أقا[4]، إذ تنحدر أصوله من قرية تنبكتو بالسودان الغربي وتحمل

---

(1). عبد المجيد قدوري: **المغرب وأروبا مابين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)**، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص125.

(2). عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص 21.

(3). جمال بن طاهر وآخرون: المرجع السابق، ص16.

(4). ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص 244.

عائلته أصولا عربية[1]، وهي أسرة عريقة في المنطقة اشتهرت بالصلاح وتعليم الأمور الدينية والدنيوية[2]، ولد الشيخ محمد بن المبارك في أقا وأخذ العلم في القرية نفسها وأصبح ألمع شخصية علمية في المنطقة، وقد بلغ في قومه مقاما عاليا حيث يشار إليه بالولاية الكبرى والخصوصية الجامحة لعز الدنيا ونعم الآخرة، وقد بنى زاويته بالقرب من القصبة وانتقل إليها وأشرف فيها على تعليم الطلبة وتربية المتشوقين إلى التصوف وقد تخرج على يده الكثير منهم، ومن ثمة حقق نفوذا روحيا واسعا في المنطقة، استغله في نبذ الشقاق بين القبائل والعشائر المتصارعة حول الماء أو المحطب، وأصبح مقصدا للتحكيم بين الناس قال ابن عسكر {**حدثني جماعة من أكابر فقهاء بلاد سوس وبعضهم يصدق بعضا قالوا: كان السيد محمد ابن المبارك مرهف الحد سريع الإجابة....** وكان محمد بن مبارك رؤية ثاقبة في تسيير شؤون سكان المنطقة، وكانت كلمته مطاعة فإذا هجت الفتن في القبائل يبعث لهم بالكف عن القتال، فمن تعدى أمره عجلت عقوبته في الوقت، ثم إنه وضع أياما معلومة في كل شهر يسمونها أيام سيدي محمد بن مبارك لا يحمل فيها أحد سلاحا ولا يقدر أحد المشاجرة فيها[3]، نظرا لعدم وجود سلطان فيها يحكمهم فكانوا يقاتلون بعضهم بعضا حتى إنهم كانوا منقسمين ومتحاربين في غالب الأحيان[4]، وكان يهدف

---

[1]. أحمد الوارث: المرجع السابق، ص143.

[2]. محمد المختار السوسي: **رجالات العلم العربي في السوس (من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر)**، ط1، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، المغرب،1409 هـ/1989م، ص42.

[3]. أحمد الوارث: المرجع السابق، ص ص143.144.145.

[4]. الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص 145.

الشيخ محمد بن مبارك من خلال هده الأيام تمكين الناس من ممارسة أعمالهم الفلاحية وتمكين التجار من الوصول إلى ديارهم[1]، ويقول عن هذه الهدنة الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا.

{ في الوقت الذي مررت فيه بهذه البلاد كان الأمر بهذه الهدنة شيخ زاهد مشهور عنه بالصلاح، وكان المسكين أعور لم أرى منه في الواقع غير الصفاء واللطف والإحسان}

وبعد سقوط المغرب تحت غطاء الاحتلال الإيبيري واستحواده على معظم مدنه الساحلية حاول البرتغاليون التوغل في منطقة السوس، فقام أهالي منطقة السوس بانتداب شيخ الزاوية الأقاوية محمد بن مبارك ليقودهم في الجهاد[2]، بعد فشل محمد بركات في مواجهة القوات البرتغالية التي كانت تحاصر سواحل السوس، وعدم قدرته في التوسط لفداء الأسرى بحكم قلة خبرته السياسية، وورد ذكر أن بعض قبائل أهل السوس ساروا إلى قبيلة جسيمة يكتالون الطعام فأخذتهم قبائل جسيمة وأكلوا متاعهم وبضاعتهم، فقصدوا شيخهم محمد بن مبارك، وكان ذا حزم وتدبير، فرد عليهم كل ما ضاع منهم حتى لم يبقى لهم شيء، فلما رجعوا إلى بلدهم قالوا إن هذا الشيخ الرئيس هو الذي يليق أن نبايعه، كما راودته على البيعة في تسيير شؤونها وقيادته لهم في التصدي للنصارى كما هو عليه الحال بالنسبة لقبائل السوس الأخرى[3]، إلا أن الشيخ المتصوف والزاهد عزف عن البيعة ووجه القبائل السوسية إلى مبايعة شريف تاكمادارت محمد بن عبد الرحمان[4]، ولم

---

[1]. أحمد الوارث: المرجع السابق، ص145.

[2]. أحمد البوزيدي: **التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17 مطلع القرن 20)** ،ب ط ،ب د ،دار البيضاء ،بد س ن ،ص80.

[3]. أبو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص7.

[4]. أحمد البوزيدي: المرجع السابق،ص80.

يترك الوفود تذهب في حال سبيلها لعلمه أن هذه القبائل بين أمرين إما الخضوع والاستكانة إلى الأعداء والدخول في طاعتهم ،أو هجرتهم المنطقة[1]، ويحسب لمحمد بن مبارك مساهمته في مساعدة القائم بأمر الله في نشر دعوته، لإدراكه لصعوبة المهمة وعدم قدرته على تسيير شؤون الجهاد والدفاع عن البلاد ضد الخطر المسيحي[2]، ولم تقتنع هذه الوفود بقرار محمد بن مبارك بإرشاده اياهم إلى المولى محمد بن عبد الرحمان، وطالبوا أن يكون واسطتهم لديه فلم يمانع لذلك[3]

وتم تنصيب محمد بن عبد الرحمان قائدا لسكان المنطقة، وهذا العمل لم يكن ليكتمل لولا تدخل شيخ زاوية آقا محمد بن مبارك تلميذ الإمام الجزولي، نظرا لامتلاك محمد بن مبارك السلطة الروحية في منطقة السوس[4]، وكان أبي عبد الله القائم بأمر الله قطين درعة في تلك الفترة وتم استدعائه من طرف فقهاء المصامدة وشيوخ القبائل[5]، وبحسب ما أخبر عنه ابن القاضي أن محمد القائم بأمر الله قد اجتمع بالشيخ الأقاوي قبل أن تبعث إليه القبائل السوسية ببيعتها، ومنه فهذا يعني أن الطريقة الجزولية ممثلة في شيوخ الزوايا بدرعة وسوس كانت تبحث لنفسها عن قيادة سياسية لمواجهة البرتغاليين، فوجدتها في أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله، نظرا لشرف نسبه

[1]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص37.

[2]. إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص244.

[3]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص37.

[4]. إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص244.

[5]. أبو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص8.

وصلاحه والتزامه بتعاليم الشيخ الجزولي، وقد وجد أشراف تاكمادارت[1] الدعم المادي والمعنوي الكامل من شيوخ الطريقة الجزولية سواء بسوس أو درعة[2].

ودعوه إلى توليته عليهم وتسليم الأمر إليه فلبى دعوتهم وجاء إلى قرية تيدسي[3] التي التقى فيها جموع أشياخ القبائل وعلمائها[4]، وعمل محمد بن أبي بكر التيدسي المعروف بالسيد بركات على تطوير هدا المشروع السياسي وتقديم القائم بأمر الله في الأمور الخاصة بسكان المنطقة ومنحه الكلمة المطاعة والقويمة والتي من خلالها تبرز قيادة أبي عبد الله محمد لأهالي المنطقة[5]، وذلك بمباركة فقهاء وعلماء وصلحاء ومتصوفة المنطقة ،وتبريرهم لاختيارهم الأنسب الكامن في شخص أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله وولديه أحمد الأعرج ومحمد الشيخ[6].

---

(1). **تاكمادرات**:وهي منطقة تابعة لإقليم درعة وتتكون من مجموعة من القصور الكبرى مثل أمزرو ،وأغلا ودرار و إنكزاط وسارت وغيرها من القصور القديمة ،بالإضافة إلى عدد من القصور والزوايا التي استحدثت في عصور متأخرة خاصة بعد القرن 10هـ/ 16م .ينظر: أحمد البوزيدي: المرجع السابق ،ص65 .

(2). أحمد البوزيدي: المرجع السابق ،ص80.

(3). **تيدسي**: وهي منطقة تقع في الجنوب المغربي محاذية لجبال الأطلس الصغير ،وتعد المنطقة مركزا تجاريا وتشكل تجمعا سكانيا مهما في سوس في القرن 10هـ/16م ،حيث اعتمد السكان الزراعة بواسطة العيون التي تنفجر من الأطلس الصغير ،والمجال الجغرافي لتيدسي يشمل الضفة الشمالية والجنوبية لنهر السوس :ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي : المصدر السابق ،ص 188.

(4). أبو العباس خالد بن أحمد الناصري: المصدر السابق ،ص8.

(5). محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق ،ص11.

(6). جمال بن طاهر وآخرون: المرجع السابق ،ص18.

وهكذا تمت دعوة الشيخ محمد القائم بأمر الله إلى تارودانت[1] في 1509من طرف الجزوليين ولقب محمد نفسه في ما بعد بالقائم بأمر الله [2]، فاستطاع السعديون أن ينجزوا مشروعهم الذي اتخذ من الجهاد قواما ومن السلطة هادفا، بعد أن رأى الجزوليون أن يوحدوا كلمتهم ويتخذوا من أبي عبد الله محمد زعيما يقودهم في التصدي للغازي البرتغالي على أراضيهم[3].

فارتبط محمد أبي عبد الله وابنه أحمد الأعرج بالجزوليين في سوس وجزولة ودرعة وما ولاها من بلاد الصحراء سواء في الجهاد ضد الحاقدين المسيحين أو في العمل على توحيد البلاد وإخراجه من الظروف التي أنهكت المغاربة[4]، فالتفت جموع الناس في المنطقة بأمر من أرباب الزوايا والمتصوفة حول القائم بأمر الله بعد اجتماع تيدسي الأخير، وما أن عاد إلى بلاد السوس حتى وجد في انتظاره القوات المسلحة حيث كان عدد القبائل خمسمائة قبيلة وكل قبيلة قدمت حوالي خمسمائة رجل بالإضافة إلى الأسلحة والخيول[5]، فحقق انتصارات عظيمة على النصارى حيث يقول اليفراني{ **فأتاح الله له النصر ومزق أشلاء الكفر بمخالب الظفر واخرج حية الغيمن حجرها وأعاد شريد الدين إلى وطنه فلما رأى المسلمون تيمنوا بطلعته وتفاءلوا بطايره المنون**

---

(1). **تارودانت**: وهي مدينة في السوس أسسها الأفارقة الأقدمون ،تقع جنوب الأطلس الكبير ،وهي مدينة متحضرة ،لأن المرينيين بسطوا نفوذهم على المدينة ،واتخذوا منها مركزا لإقامة نائب السلطان في هدا الإقليم .ينظر :حسن الوزان: المصدر السابق ،ص117.

(2). محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوافراني: المرجع السابق ،ص17.

(3). جمال بن طاهر وآخرون: المرجع السابق،ص17.

(4). أحمد الوارث: المرجع السابق ،ص243.

(5). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص39.

وزادهمذلك محبة }[1]، وبعد توالي انتصارته عاد إلى تيدسي فحدث خلاف بينه وبين بعض الرؤساء هناك أدى إلى ارتحاله عنها ورجوعه إلى درعة حوالي سنتين، ثم رجع لها ودعى الناس إلى مبايعة ابنه الأكبر أحمد الأعرج[2]، لأدراكه بأن التفاف الناس حوله في منطقة السوس متوقف على مدى نجاحه في القيام بعمليات الجهاد والغزو ضد مراكز الاحتلال الأجنبي، ولن يصلح لهذا الأمر إلا ابنه الذي لا يزال فتيا ويقدر على تحمل عبئ المسؤولية[3].

فبايعه شيوخ الزوايا في حاحة و الشياظمة لما بلغهم حسن سيرته ونصرة لولائه، فشكوا إليه حالهم وما يعانونه من ويلات البرتغاليين ببلادهم وشدة شوكتهم في المنطقة، واستفحلت أعمالهم الوحشية عليهم، فطلبوا منه أن يحضر إليهم هو وولي عهد أحمد الأعرج، فأجابهم إلى ذلك وذهب إليهم هو وابنه أبو العباس إلى منطقة بأفعال من بلاد حاحة، تاركا ابنه الأصغر أبا عبد الله الشيخ بالسوس لتنظيم الأمور[4].

وظلت الطريقة الجزولية مؤيدة للسعديين في كل مراكز نفوذها في المغرب ولم تنحصر إعانتها للسعديين في منطقة السوس فحسب بل كانت اليد المعينة لهم أين ما وجد أتباع الطريقة في المغرب، فعندما تمكن السعديون من الاستيلاء على مراكش سنة 930هـ/1523م، وجد أحمد الأعرج الدعم الكامل من الشيخ عبد الله الغزاوني شيخ الطريقة الجزولية بالمدينة[5]، وكان للزاوية

---

(1)- محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق، ص12 .

(2). نفسه ،ص13 .

(3). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص39.

(4). ابو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص13 .

(5). أحمد البوزيدي: المرجع السابق ،ص80.

الجزولية في مراكش[1] الدور البارز في اتصالات السعديين بقبائل هنتاتة التي كانت تسيطر على جزء كبير من الأطلس الأعظم[2].

3- القوى الدينية المعارضة للحكم الوطاسي في فاس وما جاورها والمباركة للتواجد السعدي.

عملت القوى الدينية على عرقلة الحكم الوطاسي بفاس وهذا ما ساعد على تنامي الحركة السعدية وتطورها، بحيث أن الزوايا لم تعادي السلطان الوطاسي في البداية ،وحظوا بعطف الكثير من مشايخ الزوايا، ولكن بعد ضعف حكمهم وتوالي خسائرهم في مواجهة النصارى انقلب بهم الأمر، وأصبح من الصعب التحكم في هده الحركة الجديدة مع أن هذه كانت مستعدة للانقياد، لأن طاعة ولي الأمر من المفاهيم التي أسست عليه هذه الأخيرة[3].

وقف الأولياء موقفا معادي اللوطاسيين داعمين بذلك التواجد السعدي والأمثلة كثيرة، فمواقف الشيخ الغزواني واضحة سواء أثناء وجوده في فأس أوفي مراكش بعد استقراره فيها، وقد صرح هذا الولي وهو فوق قنطرة الصباغين قائلا للواطسين: **أخرجوا يا بني مرين والله ما نترككم ببلدنا}**، وقصة أبي الرواين في هذا الموضوع مشهورة لما حاصر محمد الشيخ في فاس صاح فيه هذا الولي:**اشتر مني فاس** ولم يهتم محمد الشيخ بالموضوع، لكن لما طال الحصار نصحه ابنه الأمير عبد

---

[1]. ينظر :الملحق 4.

[2]. محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص36.

[3]. عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب** ،ط1 ،المركز الثقافي العربي،دار البيضاء المغرب ،2007 ،ص454.

القادر بأن يشتري المدينة من الولي الصالح المعروف بكراماته، ولما أعطى محمد الشيخ أبا الرواين خمسمائة دينار، قال له :**بعد تمام السنة** وكان له ذلك بعد سنة [1].

اعتمد الأخوان السعديان أحمد الأعرج ومحمد الشيخ على الفقهاء والصوفية بفاس في إبعاد أحمد الوطاسي عن التحالف مع البرتغاليين، وكانت هذه الفئة تتردد على بلاط الملك الوطاسي منذ 1530م وأجبروه على التراجع عن اندفاعه نحوهم ومع وجود معارضة صوفية ومقاومة سعدية لم يعد في استطاعة أحمد الوطاسي أن يغامر بالتحالف معهم، وبعد توالي هزائم الوطاسيين في الجنوب، فإن الوطاسي لم يتوقف عن محاربة السعديين وأثارت معاركه الطويلة معهم سخط فئات المجتمع التي تضررت فتدخلت الفئة الدينية لفض النزاع بينهم[2]، وكان للإمام العالم القدوة أبو محمد عبد الواحد الونشريسي[3] دور في إبرام هذه العهدة وتقسيم المغرب بينهما[4]، وكان ذلك بضغط من القوات الدينية التي أرغمت الطرفان على عقد السلم سنة940هـ/1533م استفاد منه الأخوان السعديان[5].

---

[1]. عبد المجيد قدوري: المرجع السابق ،ص132.

[2]. زهراء النظام: المرجع السابق ،ص ص79. 80.

[3]. **عبد الواحد الونشريسي**: وهو أبو محمد عبد الواحد ابن الشيخ أحمد بن يحي الونشريسي عرف عنه أنه العالم العلامة ،البحر الفهامة ،صاحب القلم الصريح ،واللسان الصريح ، فريد دهره ، وأعجوبة عصره ، انتهت إليه رياسة العلم ،وجمع بين الخطط الثلاث ،الفتوى، القضاء والتدريس .ينظر :محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** ،تح محمد حجي ، ط2 ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط المغرب ،1397هـ/1977م ،ص52.

[4]. مجهول: المرجع السابق ،ص15.

[5]. زهراء النظام: المرجع السابق ، ص ص79. 80.

عمل بعض المرابطين على التحالف مع السعديين في فترة حكم أحمد الأعرج بسبب تقاعس الوطاسيين عن الجهاد ضد النصارى، وقام مرابطوا الزاوية الدلائية[1] المسيطرون على صنهاجة في الأطلس الأوسط بالتحالف مع أحمد الأعرج ليقودهم في الحركة الجهادية، وذلك راجع لتمتع هذا الأخير بسمعة طيبة في المنطقة وسعيه لتحرير الثغور، وعمل الدلائيون على تزكية السعديين وإعلانهم الولاء لهم واعتبار السعديين أولى بحكم المغرب من الوطاسيين[2].

المبحث الثالث: القبائل التي ساعدت السعديين في البروز(قبائل السوس، هنتاتة ،الشاوية)

1. قبائل السوس: وكان لهاته القبائل الدور البارز في شحن وتزويد الفئات المقاتلة ضد البرتغاليين منذ بدأ الدعوة السعدية وكانت هذه القبائل خاضعة للقوى الدينية والزوايا[3]، وكانت العصبية السوسية في الجنوب قد التجأت إلى الشرفاء السعديين لتسليمهم قيادة الحركة الجهادية وتكليفهم بقيادة رموز الدولة دون غيرهم من رموز المنطقة التي عرفت صلحاء وأشراف غير السعديين [4]، فبعد لقاء تيدسي شرعت هاته القبائل في جمع الأموال، وشراء ما تستحقه من عدة وعتاد، وكان عدد القبائل السوسية خمسمائة قبيلة، وقدمت كل قبيلة ما يقارب 500 رجل ناهيك عن الأسلحة والخيول للسير قدما وراء زعميهم الجديد محمد القائم بأمر الله في سبيل التصدي للغازي

---

(1) .**الدلائية**: تطلق كلمة الدلاء على الأرض التي أسس المحاطيون زاويتهم بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا، ينظر :محمد حجي : المرجع السابق ،ص26 .

(2). محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص36.

(3). عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص39 .

(4). جمال بن طاهر وآخرون: المرجع السابق ،ص18.

النصراني[1]، وكان للطريقة الجزولية دور فعال في تركيب هذا الجيش المتكون من قبائل حاحة وقبائل السوس التي اتخذت من الأشراف السعديين الرمز الأسمى في تحركاتها الجهادية ضد المحتل البرتغالي[2]، وكانت قبائل السوس أول من قام بتقديم الزكاة والأعشار للسعديين واعتبروها أموال جبائية تدفع لهم، بعد أن كانت هذه القبائل تدفع زكاتها وأعشارها للوطاسيين، فرأوا أحقية السعديين بها نظرا لانتصاراتهم المحققة على البرتغاليين وحملهم للواء الجهاد في المنطقة[3].

وبعد تكثيف الهجمات على البرتغاليين في منطقة تدنست وأفوغال وتحقيق الانتصارات المتتالية ،ساعدت منطقة حاحة وتارودانت على تتبيث حجر الأساس الذي وضعه محمد القائم بأمر الله في المخطط السعدي الرامي إلى بناء دولة تحكمها العائلة السعدية الشريفة[4].

كما عملت قبائل بنو معقل في المنطقة دورا كبيرا في بروز السعديين ،خاصة قبائل بنو منصور والشبانات،و كانت هذه القبائل تجبي الضرائب وتستفيد من تجارة القوافل، وامتد نشاط قوافلها من السنغال لتنتهي في آقا، وساعدت هذه الحركة التجارية الناحية الاقتصادية للسعديين[5].

2 قبائل بني هنتاتة: وكان يحكمها ناصر بوشنتوف الذي كان يستبد بحكم مراكش التي هاجرها السواد الأعظم من سكانها وعلى أحوازها، بينما ظلت الجهات الأخرى بالمنطقة منضوية تحت لواء

---

(1)- عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص39.

(2). جمال بن طاهر وآخرون: المرجع السابق ،ص17.

(3). أبو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص10.

(4). جمال بن طاهر وآخرون: المرجع السابق ،ص17.

(5). محمد علي عامر محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص33.

الإقطاعيين[1]، فقام ناصر بن شنتوف بتحالف مع الشريفين أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ، وسرعان ما أمدهما بالإمدادات من عدد وعدة[2]، وعرضا عليه خدماتهما وأهدياه بعض الجياد والأسرى النصارى ،فأعجب بمنجزاتهما واستقبلهما بحفاوة بالغة في مراكش، وأغدق عليهما العطاء ،وخصص لهما نصيبا من الزكاة لتمويل العمليات العسكرية، وكان هذا الأمر بمساعدة أمراء بني هنتاتة الذين أرادوا أن يتخلصوا من بوشنتوف وتسليم الملك إليهم، فقام أبو العباس بأعمال أسرت بوشنتوف ولم يظهر له العداوة[3]، وفي إحدى المرات خرج معه رفقة شقيقه محمد الشيخ في رحلة صيد ودس له السم في طعامه فمات بوشنتوف، وبذلك تخلص من حاجز بينهم وبين قبائل بني هنتاتة[4].

وبعد وفاة بوشنتوف، بقي أحمد في المدينة بينما ذهب أخوه محمد إلى قصر الشرفاء بالسوس لتنظيم القوات الحربية والقدوم بهم إلى مراكش، واستغل أحمد الظروف التي خلفتها وفاة بوشنتوف، فخطب في الناس واستقطب اهتمام الشخصيات فأجمعوا على بيعته دون سواه، باعتباره حفيدا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأهلا ليكون وارث العرش، واستطاع أحمد أن يستميل الجهات المعارضة له، فاعترف به سكان مراكش قاطبة، مع رجائهم في حكم أفضل من طرف الشرفاء[5].

---

(1). مرمول كربخال، **ج1** : المصدر السابق ،ص455.

(2). إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص ص245 .246.

(3). نفسه ،ص246.

(4). مرمول كربخال **افريقيا ج1**: المصدر السابق ،ص455.

(5). مرمول كربخال **افريقيا ج1**: المصدر السابق ،ص455.

3- قبائل الشاوية: كان دور هذه القبائل في تأييد السعديين بشكل غير مباشر نظرا لموقفهم المضاد للوطاسيين، حيث قامت هذه القبيلة بتجنيد خمسيين ألف فارس وثلاثة أضعاف من هذا العدد من المشاة لمحاربة بني وطاس، وخلعهم من الحكم بفاس، وجرت معركة بينهم وبين الوطاسيين كانت الغلبة في ما بعد للوطاسيين، الذين تغلبوا عليهم في المعركة بعد خدعة قاموا بها، وهي إعطاءهم خيولا كبيرة في السن، بعد أن طالبت هذه القبيلة بإمدادها بخيول صغيرة لمواجهة البرتغاليين، لكن الحاكم الوطاسي تفطن لهذه الخدعة[1].

ومما سبق يمكن القول

- للزوايا والطرق صوفية مفاهيم متعددة بحسب الفترة الزمنية والمنطقة التي ينتمي لها المؤرخ.

- للقوى الدينية دور فعال في قيام الدولة السعدية في المغرب وخاصة الزاوية الجزولية بقيادة محمد بن مبارك الأقاوي.

- بروز العلماء والفقهاء كعنصر فعال في هذه الفترة الزمنية، الذين عملوا على دعوة الناس إلى الوقوف بصف السعديين تارة والالتفاف حول الوطاسيين تارة أخرى .

- التفاف القبائل المغربية حول السعديين نظرا لمباركة الزوايا لهذه الحركة فالطبقة الشعبية في تلك الفترة مرتبطة ارتباطا محكما بالزوايا والطرق الصوفية.

[1]. مرمول كرفخال: **افريقيا ،ج2** ،تر محمد حجي وأخرون ،بد ط ،الجمعية المغربية للتأليف والنشر الرباط ، 1988. 1989م ،ص126.

الفصل الثالث

وصول السعديين للحكم ،وموقف حكامهم من القوى الدينية والقبلية

- المبحث الأول : تحرير الثغور المحتلة بداية لأمر السعديين
- المبحث الثاني: الصراع السعدي الوطاسي
- المبحث الثالث: قيام دولة الأشراف السعديين.
- المبحث الرابع: موقف الدولة السعدية الناشئة من القوى الدينية والقبلية

الفصل الثالث: وصول السعديين للحكم ، وموقف حكامهم من القوى الدينية والقبلية

لطالما كان للشعوب دور في قيام دول وانهيار أخرى عبر الأزمنة إلى يومنا هذا، فعمل الشعب المغربي وبمختلف عصبيته القومية المختلفة على الوقوف بجانب السعديين، ودعم دعوته في مختلف الأقطار المغربية وإعلانه لحبه الشديد لهذه الطائفة الشريفة المنتسبة لآل بيت الرسول صلى الله عليه، وتسليمها الحكم والوقوف معها في التصدي للوطاسيين، والقضاء عليهم وإعلان قيادة جديدة تحكم البلاد بدلا عنهم، ولحكام السعديين الأوائل رؤية خاصة لكل واحد منهم موقف حول القوى الدينية المتحكمة في تسيير شؤون الجماعات والقبائل في المغرب الأقصى.

المبحث الأول: 1 . تحرير الثغور المحتلة بداية لأمر السعديين

بعد أن استولى الإيبيريون على العديد من السواحل المغربية و تغلغلوا في معظم الثغور الساحلية، ظهرت الحركة السعدية التي تدعو إلى الجهاد من أجل تحرير الأراضي المحتلة، بحيث أصبح مصير السلطة الوطاسية يتوقف إلى حد كبير على مدى استجابتها لنداء المغاربة في تحرير المغرب من الوجود الأجنبي، وذلك لفشلها في نشر الأمن الداخلي لتردي جل أوضاعه، لتظهر قوى جديدة في البلاد تحملت هذه المسؤولية وعلى رأسها السعديين[1].

1. المرحلة الأولى 1511/ 1517م:وكانت أول مراحل تولي السعديين قيادة سكان منطقة السوس وذلك بعد مبايعة القائم بأمر الله في المنطقة، ومن هنا بدأت الحركة الجهادية للسعديين ضد البرتغاليين، حيث قام السعديون بمهاجمة البرتغاليين عند أغادير وحققوا انتصارات أولية عليهم، وكان أول انتصار أحرزه محمد بن عبد الرحمان السعدي على البرتغاليين سنة 916هـ/1510م، وبهذا الانتصار المحقق من طرف السعديين، أضحى لزاما على البرتغاليين إجلاء قواتهم العسكرية من مرسى تفتنت، واستقدمت قبائل حاحة والشياظمة عبد الله القائم بأمر الله ليقود جيوش المقاومة ضد البرتغاليين في هذه المنطقة، وذلك بعد عقد البيعة سنة918هـ/1512م

[1]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص33.

لابنه أبي العباس كولي للعهد بتيدسي، وقام بطرد البرتغاليين من منطقة حاحة والشياظمة وحقق انتصارات هامة على النصارى[1].

وفي مقاطعة حاحة خاض المغاربة بقيادة أحمد الأعرج معارك عديدة ضد البرتغاليين، ولم يكن النصر حليف السعديين دائما، ومن أهم المعارك التي خاضوها معركة قرب تدنيست سنة 920هـ/1514 م، انهزم فيها السعديون، وأحرق البرتغاليون تدنيست والقرى الموالية للسعديين، وحاول البرتغاليون أن يحتلوا مدينة مراكش لكن محاولتهم لاحتلالها باءت بالفشل بوصول الإمدادات من طرف السعديين والوطاسيين[2].

2. المرحلة الثانية 923. 946هـ/ 1517.1539م: وعرفت هذه المرحلة فتح العديد من الثغور، وإجبار القوات البرتغالية بالانسحاب من الشواطئ المغربية ،وذلك بالقضاء على رمز من الرموز التي ساعدت البرتغاليين والمتمثلة في علي يحي بن تعفوفت[3]، الذي كان يؤيد البرتغاليين، وبعمله على نشر المسيحية في المغرب أصبح له نفوذ لدى البرتغاليين، وعمل أحمد الأعرج بفكره الثاقب على ضرورة التخلص من هذا القائد الوصولي في أسرع وقت، فقام بدس بعض الجواسيس مهمتهم تحري أخبار بعض القادة البرتغاليين في المغرب،وهذا ما مكن أبا العباس من كسب انتصار جديد على البرتغاليين و استعاد مدينة آسفي سنة 933هـ/ 1526م[4].

---

[1]. ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص244.

[2]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص53.

[3]. **علي يحي بن تعفوفت**: وهو أحد زعماء عبدة ،ارتد عن الدين الإسلامي وتنصر ،وعمل على مساعدة البرتغاليين في آسفي ، تم القضاء عليه من طرف أحمد الأعرج أثناء مهاجمته لمدينة آسفي :ينظر ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص245.

[4]. ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص 245.

وبمقتل يحي بن تعفوفت، تخلص السعديون من عقبة كبيرة وفقد البرتغاليون في يحي حليفا مخلصا لهم، ولم يجدوا من يعوضهم فبدأ وجودهم يتقهقر في المناطق الداخلية واستمر في التقلص والانحسار حتى باتوا مهددين في آسفي وأزمور وأغادير وغيرها[1].

قام أحمد الأعرج بحصار المراكز البرتغالية في الجنوب وتضييق الخناق عليها، إذ قام بحصار آسفي سنة 1534 وكادت أن تقع المدينة في أيدي السعديين، لولا المساعدات الخارجية التي بعثها البرتغاليون للمدينة، حيث ظهر تعاون ثلاثي بين المسلمين والمتمثل في الوطاسيين والعثمانيين والسعديين، وما أن سمع البرتغاليون بخروج حملة عسكرية من مدينة القسطنطينية باتجاه شمال افريقيا، حتى قاموا بالإجلاء عن بعض المراكز وخاصة الجنوبية[2].

عقد الأخوان هدنة مع البرتغاليين في 15 ذي القعدة 543هـ/ 25 أفريل 1537م لمدة ثلاث سنوات، قصد التفرغ لبسط نفوذهما على المناطق التي لم تخضع لهما بعد في الجنوب المغربي، كأعالي درعة التي كانت تحت حكم مزوار وعلى المناطق الأخرى التي كانت تحت نفوذ بعض القبائل المصمودية الموالية للبرتغاليين[3].

3- المرحلة الثالثة 946. 962هـ/ 1554.1539م:وعرفت هذه المرحلة إبرام العديد من اتفاقيات الهدنة مع البرتغاليين بسبب انشغال محمد الشيخ بالمشاكل الواقعة بينه وبن أخيه وكذا سعيه للقضاء على الحكم الوطاسي بشكل نهائي، وعمل محمد الشيخ منذ الوهلة الأولى على تحرير ميناء أغادير الذي عرف بحركته التجارية الهائلة، وتمكن محمد الشيخ من اقتحام المركز بعد انقضاء أجل الهدنة وقتل وأسر كل من كان به متكبدا خسائر كبيرة، فكانت أغادير أول مركز هام يحرره السعديون وذلك في ذي القعدة 947هـ/ مارس 1541م[4].

---

[1]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص53.

[2]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص 56.

[3]. عمار بن خروف: المرجع نفسه ،ص52.

[4]-Boulet (L' abbé): Histoire de l'empires des chérifs en Afrique, Paris 1733, p128.

تعرض البرتغاليون لضربة قاصمة من طرف السعديين وذلك بفتح السعديين لميناء سانتاكروز سنة 1541م، وأمر الحاكم البرتغالي بالجلاء فورا من مدينتي آسفي وأزمور، والتخلي عن هاتين القاعدتين مع الاحتفاظ بقاعدة مازكان وتحصينها[1]، وبعد إجلاء القوات البرتغالية عن مدينتي آسفي وأزمور سنة 948هـ/1541م، نظرا لرغبة البرتغال في التخفيف عن خزينة الدولة، وأضحى الاحتفاظ بهما عبء كبير عليها، فقام الأعرج بالاستيلاء عليهما، وإعادة تعمير آسفي التي نهبت وأخذ ما كان فيها من عدة وأثاث وخربوها وأفسدوها وأقعدوا فيها النار، وبقيت مخربة مدة اثني عشر سنة[2]، أما أزمور فقد بقيت خربة خالية.

أحس محمد الشيخ أن البرتغاليين يشكلون خطرا كبيرا على منطقة السوس، بتواجدهم في أكادير، أو حصن فونتي كما كانوا يسمونه، وقام بالهجوم على البرتغاليين بالمدفعية وتم طردهم منه نهائيا بقيادة محمد المهدي سنة 948هـ/1541م، وتزوج هذا الأخير من ابنة حاكمها البرتغالي، بعد اخلائه لمدينة أكادير، ولم تلبث زوجته البرتغالية كثيرا حتى توفيت جراء آلام الوضع، وعرف هذا الانتصار صدى واسعا في المغرب وخارجها وحتى في البرتغال التي عزمت على التخلي عن مراكزها في المغرب الواحد تلو الآخر، وخلال هذه السنة تم اختطاط إقليم أكادير على يد محمد الشيخ[3].

وبعد نشوب الصراع بين الأخوين حاول البرتغاليين استغلال الوضع بالتعاون مع السلطان أحمد الوطاسي، وهذا ما أدب الأخوين إلى ترك الخلافات وتوجيه قواتهما ضد البرتغاليين، للتغيير في ما بعد سياسة السعديين تجاه البرتغاليين لتصبح مبنية على معاهدات سلمية ليوجه هدفه صوب القضاء على الوطاسيين والعثمانيين الذين دخلوا في الخط كمحرر للسواحل المغربية، وبعد خضوع كل من غرسيف ووجدة للعثمانيين، وهذا ما أدى إلى تزايد مخاوف البرتغاليين ومن ثم الرحيل عن

---

[1]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص63.

[2]. أبو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص17.

[3]. ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص247.

أصيلا، والقصر الصغير في ماي 957هـ/1550م، وبذلك لم يبقى للبرتغاليين وجود في المغرب إلا في منطقة سبتة وطنجة، ومازغان ، ومليلة في يد الاسبان[1].

المبحث الثاني ـ الصراع السعدي الوطاسي واعتلاء السعديين الحكم في المغرب

1 ـ الصراع السعدي الوطاسي: بدأ التواجد السعدي في الجنوب كحركة جهاد ضد البرتغاليين وبتوالي الانتصارات على البرتغاليين أخذ النفوذ السعدي يتوسع في المغرب، حيث تم لهم إخضاع العديد من المدن والقرى في الجنوب كماسة وتيوط وتغاوست وتيدسي وتارودانت[2]، وهذا ما أعجب به السلطان المريني واتصل بهما فأمدهما بعدة كثيرة وخيول، ثم رجع إليه ففعل معهما مثل ما فعل في المرة الأولى، وتحققت لهما انتصارات كثيرة على المحتلين، ثم عادا إليه مرة أخرى وطلبا منه طبولا وبنودا وعدة فأمدهما ما سألاه، فكانت هذه النقطة التي غفل عنها السلطان الوطاسي هي التي عادت عليه وعلى حكمه بالسلب، وذلك بإعانة قوة محلية تنافسه على زمام الحكم في الأراضي المغربية[3] ،وأقاليمها الكثيرة التي أضحت عبئا على الوطاسيين[4]، وما أن تمكن السعديون من إخضاع مدينة مراكش سنة 930هـ/1524م، حتى بدأ الصراع السعدي الوطاسي يظهر في الأفق، وذلك بعد موت أميرها الناصر بوشنتوف حليف السلطان الوطاسي محمد البرتغالي، إذ بدأ هذا الأخير في اتخاذ إجراءاته حيث بدا له أن هدف السعديين ليس فقط الجهاد، بل تأسيس دولة أيضا[5]، وتحايل على الاعتراف بالسلطة الاسمية للوطاسيين حتى يقوي أنصاره ويتم تدبير خطته بإحكام، ولم يتقبل الوطاسيون أمر تدخل السعديين في مراكش[6]، وسارع أحمد الأعرج العمل

---

(1)- عمار بن خروف: المرجع السابق، ص57.

(2). نفسه ،ص52.

(3). مجهول: المصدر السابق ،ص13.

(4)- ينظر الملحق 5.

(5). عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص51.

(6). ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص246.

على تنفيذ خطته وذلك بالتخفيف من استياء الحاكم الوطاسي خشية أن يهاجمه قبل أن يستكمل استعداداته.

عرض أحمد الأعرج على الحاكم الوطاسي أن يكون عاملا له على مراكش وأبدى استعداده لأن يدفع له ضعف ما كان يدفع له سلفه، لكنه اكتفى في ما بعد بالامتناع عن إرسال ما يتوجب عليه دفعه من المال، حيث دفع القليل منه، ولم يلتزم بالمبلغ المتفق عليه، بسبب عمليات الجهاد ضد البرتغاليين والتي تستلزم الكثير من المال[1].

ولما كان محمد البرتغالي منشغلا في الشمال بالتصدي للبرتغاليين، هاجم أحمد الأعرج أصيلا سنة 931هـ/ 1524م رفقة مجموعة من المتقاعسين عن الحكم الوطاسي مالا يقل عن أربع مرات، وتمهل السلطان الوطاسي في اتخاذ موقف حازم تجاه أحمد الأعرج، الذي لم يفي بالتزاماته رغم التحذير والتهديد من السلطان الوطاسي[2]، ووقع أحمد الأعرج بدوره هدنة مع البرتغال ليتمكن من بسط نفوذه على المناطق الجنوبية،وخاصة بلاد درعة ومراكش التي أصبحت منذ 1525م مقرا جديدا للسعديين[3]، وباستفحال الوضع قرر محمد البرتغالي أن يهاجم السعديين وأقبل بجموعه على مراكش وفرض الحصار فيها أياما على السعديين، وقبل أن يتمكن من اقتحام أسوارها جاءته أنباء من فاس على أن ابن عمه مسعود بن الناصر قد أعلن ثورته في مكناس[4]، فما كان منه إلا أن رفع الحصار، وعاد مسرعا إليها، على أمل العودة ثانية إلى مراكش بعد القضاء على الثورة، ولكن الأجل لم يمهله إذ توفي سنة 1526م، وأعقب وفاته نزاع بين أخيه أبي حسون وبين ابنه أحمد ولما خلص الملك لهذا الأخير سنة 932هـ/ 1526م، طالب أحمد

---

[1]. محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص36.

[2]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص52.

[3]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص51.

[4]. نفسه ،ص54.

الأعرج بما استحق عليه من ضريبة التبعية فلم يستجب له بل إنه تحالف مع الأمراء المستقلين عن فاس، كابن حدو وإدريس الهنتاتي ولم يبقى أمام السلطان الوطاسي إلا الحرب[1].

تمكن أحمد الوطاسي من إخماد التمرد ومن تجهيز حملة أخرى ضد السعديين وكان اللقاء هذه المرة بآنمای خارج مراكش، ولم يحسم أحد الطرفين النصر، وانتهت المعركة بعقد الصلح وذلك سنة 935هـ/ 1528م.

ظل السلطان الوطاسي ينظر إلى الأشراف السعديين على أنهم مغتصبون للسلطة في مراكش، بينما كان هؤلاء يرون أنهم أحق بالملك منه وعملوا على التوسع في المغرب، مما أدى إلى وقوع صدام عنيف بين قواتهما في بوعقبة على وادى العبيد انتهى بهزيمة كبرى لجيش السلطان أحمد الوطاسي على الرغم من تفوقه العددي (20000) مقابل (12000)، ونجى السلطان أحمد الوطاسي بأعجوبة من المعركة التي وقعت في 943هـ/ 1536م[2].

بعد توالي المعارك بين السعديين والوطاسيين، سئم المغاربة من هذا الصراع فتدخل علماء فاس وأعيانها لعقد الصلح بين الوطاسي والأخوين الأعرج ومحمد الشيخ، ولم تتم المهمة بسهولة إذ امتنع الشريفان في بادئ الأمر عن تقديم التسهيلات لإبرامه، ونص الاتفاق الذي توصلوا إليه على أن يكون للسعديين ما يلي تادلا جنوبا حتى أطراف السوس، وللوطاسيين ما يلي تادلا شمالا إلى رباط تازة ، وأن تكون درعة للسعديين وسجلماسة للوطاسيين[3]، وما كان من السلطان الوطاسي إلا الرضوخ لهذا الاتفاق لعدم قدرته على السيطرة على البقاع المغربية كافة وخاصة منطقة السوس التي أثقلت عليه منذ فترات طويلة من الزمن[4]، وهذا الأمر جعل المغرب منقسما وأضحى يتألف

---

[1]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص56.

[2]. نفسه ،ص53.

[3]. نفسه ،ص53.

[4]. مجهول: المصدر السابق ،ص14.

من مملكتين لا تبعية لإحداهما على الأخرى، مملكة الوطاسيين في الشمال والمملكة السعدية في الجنوب.

وعقد السلطان الوطاسي الهدنة مع البرتغاليين في 27 صفر 945هـ/ 24 جويلية 1538م لمدة 11 سنة ليأمن جانبهم ويستعد من جهة أخرى للجولة القادمة مع خصومه السعديين، إلا أن هذه الهدنة سببت له متاعب داخلية كثيرة وذلك لعرقلة حركات الجهاد ضد البرتغاليين، كما حصل لإمارة دبدو في شرق المغرب التي استاءت من سياسته، الأمر الذي اضطره لاستعمال القوة لإخضاع إمارة بني راشد في شفشاون سنة 748هـ/1541م وإلى إتباع سياسة المصاهرة مع أمير دبدو، كما كانت هدنته مع البرتغاليين سببا في فقدان شعبيته لدى المغاربة وخاصة المجاهدون منهم[1].

حاول السلطان الوطاسي أن يستغل الخلاف بين الأخوين، والذي ظهر بعد معركة سنتاكروز، بسبب غنائم هذه المعركة، بحيث أن أحمد الأعرج طالب بنصف الغنائم من أخيه محمد، لكن هذا الأخير رفض لأنه كان يرى أنه هو من حقق النصر في هذه المعركة وأنه الأحق بالغنائم كلها، وكانت مسألة ولاية العهد تظهر في الأفق[2]، وجرت معارك بين الطرفين كانت الغلبة في الكثير من المرات لمحمد الشيخ، وعلى خلاف هذا الصراع بين الأخوين، قرر السلطان الوطاسي الوقوف إلى جانب أحمد الأعرج، والتحالف مع البرتغاليين في آن واحد، وهذا ما أثار غضب محمد الشيخ، وجعله ينقض الصلح الذي أبرم معه منذ سنوات في أعقاب معركة بوعقبة[3].

طالب محمد الشيخ أحمد الوطاسي أن يتخلى عن تادلا ويبتعد عنها، وقبل أن يحصل على الجواب أخذ في جباية الضرائب منها، وهذا ما أدى إلى قيام معركة بين الطرفين واصطدما على

---

[1]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص55.

[2]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ، ص ص65 .66.

[3]. عمار بن خروف: المرجع نفسه ،ص55.

وادي درنه، أحد فروع نهر أم الربيع في رجب 952هـ/ سبتمبر 1545م، وكان النصر حليف محمد الشيخ الذي تمكن من أسر السلطان الوطاسي وابنه أبي بكر[1]، وتم حبسه في تادلا، التي دخلها محمد الشيخ ودعا لنفسه فيها، فبايعه كافة الناس في المنطقة وأصبحت مقاطعة تادلا خاضعة له، بالإضافة لمراكش ومنطقة السوس التي بويع فيهما كحكم شرعي للسعديين[2]، وأصبحت فاس هدفا له، ولكن أهل فاس بقيادة أبي حسون الوطاسي[3] و محمد ابن أحمد الوطاسي الأسير، الذي بويع سلطانا مؤقتا خلفا لوالده استعدوا مع الفاسيين لمقاومته، وطالب محمد الشيخ من أهل فاس تسليمه مدينة مكناس لإطلاق سراح الأسير، وهددهم باستعمال القوة لتحقيق مطلبه لكنهم لم يستجيبوا له.

ورغم جهود العثمانيين وتدخلهم كوسيط لإطلاق سراح أحمد الوطاسي إلا أن محمد الشيخ أبى تسريحه، وما كان من سكان فأس إلا الرضوخ لمطلبه وتسليميه مدينة مكناس، وعاد أحمد الوطاسي إلى ملكه في جمادى الثانية 954هـ/ أوت 1547م[4]، بعد تقديمه تنازلات كثيرة لمحمد الشيخ، فقد تنازل له عن الهبط والغرب، واعترف له بحق حمل لقب السلطان وسك العملة، مقابل إطلاق سراحه بعد نحو سنتين من الأسر في مراكش وكانت هذه التنازلات بمثابة الضربة القاسمة التي تنهي الحكم الوطاسي، وتعزز حظوظ السعديين بزعامة محمد الشيخ في اعتلاء الحكم في المغرب[5].

أخذ الحاكم الوطاسي يعمل على تعزيز قوته للثأرمن خصمه، وأبرم اتفاقا مع البرتغاليين، ووضع يده بيد أحمد الأعرج الذي أطلق سراحه، فاتخذ محمد الشيخ هذا التحالف بين أخيه

---

(1). عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص56.

(2). مجهول: المصدر السابق ،ص 13.

(3). **أبي حسون الوطاسي**: هو علي بن محمد بن ابي زكري الوطاسي وبويع بفأس اثنين وثلاثون وتسعمائة ثم قبض عليه ابن أخيه محمد وخلعه وبويع مكانه .ينظر : محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المصدر السابق ،ص31.

(4). عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص56.

(5). محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص36.

والوطاسي ينذريعة للقضاء على الدولة الوطاسية، التي فقدت نفوذها بعد تسليمها مدينة مكناس،و كذا تمرد القبائل الموالية للوطاسيين والتي خرجت عن طاعة السلطان الوطاسي قبل معركة وادي درنة سنة 952هـ/ 1545م وبعدها ومنها تطوان التي تمكن فيها محمد الحسن المنظري من الإطاحة بحكم السيدة الحرة زوجة السلطان الوطاسي أواخر سنة 949هـ/ 1542م، وتمكن مولاي عمار في نفس الفترة الزمنية في الإطاحة بحكم أخيه في دبدو واستقل بالإمارة[1]، وأطاعت القبائل العربية الأشراف السعديين، إلا قبائل أولاد عمران التي نزلت مع قبيلة أولا كايد وأولاد عيسى في العسال والحبالة[2].

2 القضاء على الحكم الوطاسي:جهز محمد الشيخ حملة على فاس، وقبل أن يسير بهذه الحملة أرسل رسالة للسلطان الوطاسي يطالبه فيها بالتخلي عن مدينة فاس، لكي يتجنب إلحاق الأذى بفاس والفاسيين والوصول إلى نقطة تفاهم معه، ولكن جواب هذا الأخير كان الرفض بتأثير من عمه أبي حسون، وبالتالي قرر المقاومة[3]، فما كان من محمد الشيخ إلا تسيير هذه الحملة، وكان ذلك في ربيع 955هـ/ 1548م، وأعد الوطاسي قوات كبيرة لمواجهتها، وجاءه مدد من حليفه أحمد الأعرج بقيادة ابنه زيدان، وكان النصر هذه المرة حليف الوطاسيين والتي دارت رحاها قرب فاس في 23 ربيع الأول 955هـ/ 2 ماي 1548.

وأعاد محمد الشيخ الكرة مرة أخرى في رمضان من نفس السنة وجهز جيشا قوامه ثلاثون ألف فارس بين مشاة وفرسان قادها بنفسه في رمضان 955هـ/ أكتوبر1548م، وحاصر مدينة فاس[4]، وطال حصار المدينة أكثر من أربعة عشر شهرا، وكان الرجال يخرجون من فاس الجديدة

---

[1]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص53.

[2]. مجهول: المصدر السابق ،ص16.

[3]. محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص39.

[4]. عمار بن خروف: المرجع السابق،ص57.

في الليل ويقاتلون آناء الليل وأطراف النهار[1]، وتخلل حصار فاس من طرف السعديين، ظهور مناوشات واشتباكات عديدة خارج أسوار المدينة وداخلها، تكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة، كما تخللته مفاوضات بين السلطان الوطاسي ومحمد الشيخ، لم يقبل هذا الأخير فيها بغير تسليم فاس، وتحمل أهل فاس الحصار بضعة أشهر معتقدين أن فصل الشتاء كفيل بإجبار السلطان السعدي على الانسحاب، لكنه لم يفعل، فكثرت الأمراض والأهوال في مدينة فاس وشرع العلماء يحرضون الناس على الطاعة والصبر للسلطان الوطاسي[2]، ولكن ظهرت في ما بعد مكاتبات وحيل يطالبون فيها المريني بتسليم المدينة لمحمد الشيخ السعدي، بعد نجاح هذا الأخير في كسب تأييد علماء فاس، وكان هناك ثلاثة منهم عملوا على حث أهل فاس على الصمود[3]، وقام بدوره بكتابة رسائل إلى هؤلاء الفقهاء، وهم الفقيه الونشريسي والفقيه الزقاق[4] وسيدي حروز[5]، وكتب لأهل فاس [6] يقول :**{أني أن دخلت فاس صلحا ملأتها عدلا وإن دخلتها عنوة ملأتها قتلا }**[7] فبعث محمد الشيخ رسائل سرية لعبد الواحد الونشريسي ووعده ومناه، فردّ عليه الونشريسي**{بيعة هذا السلطان، يعني أبا العباس الوطاسي، في رقبتي ولا يحل خلعها إلا لموجب شرعي وهو غير موجود }**[8]، وهذا ما أثار غضب محمد الشيخ السعدي وحقد على

---

[1]. مجهول: المصدر السابق ،ص16.

[2]. عمار بن خروف: المرجع السابق، ص57.

[3]. محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق، ص39.

[4]. **الزقاق**: وهو أبو العباس أحمد الزقاق، كان رحمه الله من أهل العلم والفضل كان مفتيا بفاس .ينظر . محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: المصدر السابق ،ص51.

[5]. **سيدي حرو**: وهو أبي علي حروز المكناسي من ذرية الشيخ أبي علي منصور، كان رحمه الله فقيها أديبا كاتبا فصيحا بليغا، لم يرى بالمغرب خطيبا أفصح منه، ولم يكرر خطبة قط ،رحل للمشرق والتقى بالمشايخ وأخذ عنهم. ينظر: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: المصدر السابق، ص82.

[6]. مجهول: المصدر السابق، ص18.

[7]. ابو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق، ص22.

[8]. مجهول: المرجع السابق، ص18.

الونشريسي[1]، وأمر مجموعة من المتلصصين أن يخرجوه من المدينة،ويأتوه به، فلما حاولوا أخذه معهم أبى، فلما امتنع عن ما أرادوه قتلوه[2].

وبتفشي الأزمات وتقهقر الأوضاع بفاس قام السلطان الوطاسي بإعلانه الاستسلام شريطة تعهد محمد الشيخ بعدم إلحاق الأذى بأهل فاس، وذلك في شهر محرم 956هـ/ جانفي 1549م[3]، وبعد دخول محمد الشيخ إلى فاس عفى عن أهلها كما كان متفقا عليه، ومن تم شرع في العمل على إخضاع المناطق والقبائل التي لم تعلن خضوعها له، مثل ما فعل مع مولاي عمار أمير دبدو وأبي حسون أمير بادس، وبعض المدن في شرق المغرب، وتحقق له ذلك.

وفر أبو حسون من فاس، وقصد دار النصارى، فأشاروا عليه أن يستعين بالعثمانيين خيرا له ولملكه، لكي يكسب بعونهم ثقة أبناء المغرب نظرا لكون العثمانيين مسلمين عكس ما هو عليه الحال بالنسبة للبرتغال واسبانيا، وأخذ بمشورتهم وقصد الديوان العثماني بالجزائر، فأنعموا عليه بالعدة والعتاد[4]، بعد أن لبث فيهم مدة من الزمن يزين لهم المغرب في أعينهم ويقولوا لهم أن ملكها السعدي قد سلب حكمه، وإن ساعدوه باسترجاعه سيسمح لهم بأخذ الغنائم والذخائر والمال الوفير[5]، وهذا ما أسال طمع العثمانيين الذين عملوا على زعزعة ملك محمد الشيخ الذي بدأ يثبت الحكم السعدي في المغرب، ولم يعلن طاعته للعثمانيين، ووجدوا في أبي حسون اليد التي تحقق مساعيهم[6]، وما كان من أبي العباس أحمد الأعرج إلا الالتحاق بصفوف أبي حسون في ظروف غير واضحة،لينتقم من أخيه الذي اعتقله لسنوات واضعا يده مع أبي حسون، ليسترجع ما

---

[1]. ابو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق، ص22.

[2]. محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق، ص33.

[3]. عمار بن خروف: المرجع السابق، ص57.

[4]. مجهول: المصدر السابق، ص22. 23.

[5]. محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق ،ص30 .

[6]. عمار بن خروف: المرجع السابق،ص58.

تم سلبه من طرف أخيه[1]، وانطلق أبو حسون من تلمسان، وكتب للقبائل فأجابوه، وارتحل إلى أن وصل إلى رباط تازي ووصل إلى وادي إيناون بقرب الركن، فلقيه هناك محمد الشيخ السعدي، ودارت بينهما معركة عرفت شجاعة وحزما من طرف أبي حسون انتهت بانتصاره[2]، واستطاع أن يسترجع مدينة فاس في مطلع صفر 961هـ/جانفي 1554، واستطاع بعث الدولة الوطاسية فيها من جديد، كما استرجع مولاي عمار بهذه المناسبة إمارته دبدو، وعاد بنفس المناسبة أحمد الأعرج وابنه زيدان إلى تافيلالت.

وقد كان على أبي حسون أن يستعد بعد عودة العثمانيين إلى الجزائر لجولة أخرى ضد خصمه محمد الشيخ، فشرع في إعداد القوات لمجابهته، كما قام بتحالف مع البرتغاليين، وعقد حلفا دفاعيا وهجوميا مع أحمد الأعرج ضد خصمهما المشترك، الذي لم يلبث أن جهز جيشين لضرب الطرفين المتحالفين في وقت واحد، الأول كان بقيادة ابنه عبد الله موجها ضد أبي حسون بفاس، والثاني كان بقيادته موجها لأخيه أحمد الأعرج وأبنائه بتافيلالت وحاصرهم فيها، وبينما انهزم الجيش الأول شر هزيمة، وتمكن الجيش الثاني بفضل مكر قائده ودهائه من الدخول إلى تافيلالت والقبض على أخيه وأبنائه فيها، وهكذا تفرغ لأبي حسون بكل قواته، وجرت معركة بالقرب من فأس في شوال 961هـ/ سبتمبر 1554م، في منطقة اسمها مسلمة وظل محمد الشيخ محاصرا لمدينة[3]، استبسل أبو حسون في هذه المعركة قبل أن يغتاله أحد خصومه الذين اندسوا في صفوفه فاضطرب جيشه وانهزم، وفرا اثنين من أبنائه، واستقر أحدهما عند الإسبان والثاني عند الجزائريين[4].

---

[1]. ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص249.

[2]. مجهول: المصدر السابق، ص **23.**

[3]. محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق، ص31.

[4]. عمار بن خروف: المرجع السابق، ص58.

المبحث الثالث :قيام دولة الأشراف السعديين:وبعد دخول محمد الشيخ السعدي إلى فاس، قام بإرسال رأس أبي حسون إلى مراكش ولم يبقى له منازع على حكمه للمغرب، وبموت أبي حسون انقطعت الدولة الوطاسية ولم يبقى للوطاسيين حكم بعد موته وهو آخر ملوكهم[1]، وهكذا أصبحت المغرب تحث حكم العائلة السعدية الشريفة بشكل رسمي.

وكان دخول محمد الشيخ إلى فاس للمرة الثانية في 24شوال / 22سبتمبر1554م[2]، وقام بقهر أهلها ونفى أكثرهم إلى الجبال لخذلانهم له وتعاونهم مع أبي حسون[3]، وفرض غرامة على من بقي فيها، لأنه اعتبر الفاسيين مسؤولين عن نهب كنوزه حين طرده الأتراك من فاس، وانتزع من القبائل التي غدرت به الخيل والسلاح، وأسقطها من الجندية وضرب عليها المغارم[4].

ولم يسلم من عقوبته الشيوخ والفقهاء، فأمر بتهجير بعضهم إلى مراكش، وقتل البعض منهم، حيث قام بقتل الفقيه الصالح وقاضي الجماعة بفاس أبي محمد عبد الوهاب الزقاق، وأبي علي حروز لأنهم ساندوا أبا حسون في ما سبق[5].

1- **سياسته الداخلية:** وكان دخوله لفاس هذه المرة على هيئة الملوك في ملبسهم ودخولهم وخروجهم، فسعى على ظهوره كملك حضري لأن بدايته كانت بدوية، ولم يرغب في البقاء في فاس رغم حصوله على لقب أمير المؤمنين لأول مرة، وكذا تلقبه بالمهدي، لأنه لم يشعر بالارتياح فيها، ولأنه لم يستطع نسيان الاستقبال الحماسي الذي استقبل به أبا حسون حين عودته إلى فاس

---

(1). مجهول: المصدر السابق ،ص26.

(2). عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص58.

(3). مجهول: المصدر السابق ،ص26.

(4). محمد علي عامر محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص43.

(5). ابو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص31.

سنة 1553م، وكما كان يرى أن فاس معرضة لهجمات الأتراك العثمانيين وفيها مؤيدون ومتعاطفون، فقرر العود ة إلى مراكش وجعلها عاصمة له التي استمرت كذلك في عهد خلفائه[1]،

وقام بترتيب أمور ملكه وهذب أعطافه وأسس دولته التي كانت حلما ومسعى للعائلة السعدية الشريفة منذ عهد والده أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله[2]، فاستعان بخبرة الوزير الوطاسي الأسبق قاسم زرهوني الذي علمه كيف يباشر الأمور مع أعيان القبائل وأكابر القوم، وكيف ينعقد الديوان، ومن يختار من العلماء والأدباء والكتاب، وكيف يكون قعودهم ومنازلهم في المجالس إلى غير ذلك من الأمور، وعرف جهازه الحكومي معظم ممثليه من الجنوب وكان مؤلفا من (وزير الكتاب الرئيسي، كاتم السر، حاجب القهر، أمين المال، والعديد من القادة في مختلف المهمات، القضاة، حرس السلطان،أصحاب الشورى، الأقارب)، حيث جعل القضاة من أهل السوس،وقسم المقاطعات المغربية والمدن الرئيسية على أولاده، وكانت مدينة فاس تحت إدارته[3].

وفي مخططاته الاقتصادية كان أول ما بادر بفعله،هو فرضه على قبائل المغرب ضريبة النائبة[4]، وهذه الأخيرة سببت له خلافات مع أرباب الزوايا والأشراف، مما أدى إلى قتلهم في بعض الحالات[5]، واستعاد بدوره حيوية تجارة القوافل الإفريقية، التي نجح في تحويلها نحو توات وتافلالت وتارودانت، وأعادا بذلك للمغرب عامة وللجنوب المغربي خاصة نشاطه الاقتصادي[6]، وسعى إلى تحسين ظروف الزراعة من خلال توفير الأمن والاستقرار الداخلي والخارجي[7]، واهتم

---

(1). محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص43.

(2). ابو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص31.

(3). عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص87.

(4). **النائبة:** وهي ضريبة فرضت على المغاربة منذ العهد المريني وكانت تفرض على العامة وبمجيء السعديين فرضت على جميع الطبقات من المجتمع بما فيهم أرباب الزوايا. ينظر: ابو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع نفسه ،ص31.

(5). أبو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص31.

(6). محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص45 .

(7). ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص228.

بالفلاحة بمختلف أشكالها سواء كانت منتوجاتها معيشية أو تسوقية لدرايته بالقدرة الاقتصادية التي تعود على البلاد بالفائدة[1]، وأولى عناية خاصة بصناعة السكر وتطوير منشآته، وكان يهدف لترويج التجارة مع الدول الخارجية، بحيث يعتبر هذا القرن هو أحسن فترات الازدهار الاقتصادي بالمغرب على الرغم من الكوارث التي تعرض لها كالمجاعة مثلا[2]، واستغل أرباح هذه التجارة الزراعية في تنظيم الجيش، وعمل على رقي المجتمع المغربي من خلال سد حاجياته المادية[3]، كما شجع على الصناعات التقليدية وأهمها الصناعات النسيجية كصناعة الزرابي ذات الطراز التركي، إلى جانب نسيج الثياب والأغطية في الكثير من أنحاء المغرب، وصناعة السفن الحربية[4].

2- السياسة الخارجية: عند دخول السعديين لفاس التي غذت تحت حكم محمد الشيخ الذي اتسعت الرقعة الجغرافية لدولته وامتددت حدود مملكته من باب تلمسان إلى تخوم الصحراء، ودانت لملكه كل الرقاب واجتمعت عليه الكلمة، واستطاع أن يستولي على تلمسان وأعمالها إلى وادي شلف[5]، وكان يسعى إلى توسيع رقعة الدولة السعدية إلى حدود مصر، وهذا ما يوضح طموح محمد الشيخ في تأسيس دولة ذات رقعة جغرافية واسعة[6]، إذ يقول الأفراني عنه في هذا الصدد **{ لما تغلب،رحمه الله على بلاد المغرب ودانت له حواضره وبواديه، تاقت همته العلية إلى بلاد المشرق }**[7]، فقد كان يرى أن للسعديين شرعية في الخلافة الإسلامية بعد سقوط الخلافة العباسية، عكس الأتراك الذين لا يملكون الشرعية لكونهم عجم ولا صلة لهم بالبيت النبوي.

---

(1). محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني :المرجع السابق ،ص36.

(2). ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص228.

(3). عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص87.

(4). ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص228 .229 .

(5). محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق،ص36.

(6). زهراء النظام: المرجع السابق ،ص 176.

(7). محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق ،ص93.

وبعد أن تم له تصفية الوطاسيين، ولتجنبه واجهات حربية عديدة قام بالتحالف مع الإسبان المستقرين في الجزائر، ليتجنب بذلك الخطر العثماني الذي كان يطمح إلى جعل المغرب إيالة عثمانية[1]، وذلك لتدخله في تلمسان بطلب من أهلها الذين عاشوا الويلات بتقلب حكمهم بين الإسبان والعثمانيين، وأرسل جيشا بقيادة ابنه الحران الذي خالف أوامره فبدلا من توجهه إلى وهران، توجه إلى مستغانم التي كانت إيالة عثمانية، واتخذ العثمانيون موقفا صارما وهاجموا السعديين وقاموا بقتل الحران وأخ له، عندها تراجع السعديون إلى ما وراء ملوية[2]، وبالتالي تخلوا عن تلمسان التي تم حصارها في ما سبق مدة زمنية طويلة دامت أكثر من تسعة عشرة شهرا[3].

عمل السلطان محمد الشيخ على تحقيق مسعى السعديين في الحكم والمبني على تحرير الثغور المحتلة، وحاول الاستفادة من الحلفاء الأجانب وخاصة الفرنسيين الذين يمكنهم تزويده بمختلف المواد اللازمة لبناء أسطول بحري قوي، يمكنه من تحرير جميع السواحل المغربية، وخاصة المطلة على المحيط الأطلسي، والتي تعتبر من أهم الموانئ المغربية، وكانت قضية هذه الموانئ، ومساعدة المورسكيين[4] من أهم القضايا التي عمل على حلها بعد وصوله للحكم[5].

---

(1). ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص250.

(2). محمد علي عامر. محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص40.

(3). محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: المرجع السابق ،ص36.

(4). **المورسكيون**: وهو اللقب الدي أطلقه الإسبان على جميع المسلمين الذين كانوا يحكمون الأندلس ثم غلبوا على أمرهم فصغر اسمهم تهوينا لهم .ينظر: مولاي أحمد الكامون و هاشم السقلي: **المورسكيون في المغرب** ،ط1 ،مركز الدارسات والبحوث الانسانية والاجتماعية وجدة ،المغرب ،2010م ،ص34 .

(5). محمد رزوق: المرجع السابق ،ص89.

المبحث الرابع: موقف الدولة السعدية الناشئة من القوى الدينية والقبلية

1. موقف القائم بأمر الله: هو أول من برز من الأسرة السعدية في المغرب امتدت فترة حكمه (915 .923هـ /1509. 1517) تنازل لأبنه الأكبر أحمد الأعرج عن الحكم بعد أن طلب مبايعته سنة918هـ/ 1512م، وظل يجاهد بأوفغالإ لا أن توفي بها سنة 923هـ/1517م[1].

أ موقفه من القوى الدينية: كانت معاملة أبي عبد القائم بأمر الله لأرباب الزوايا والمتصوفة الروحانيين معاملة حسنة في بادئ الأمر، وكان يبذل جهدا في إرضاء هذه القوى التي منحته السند في نشر دعوته وتجميع الجموع من حوله وتشجعيها له ولولديه الذي نبأ لهما بتملك المغرب يوما ما، ناهيك عن شرف نسبه ونشأته العفيفة وورعه وصلاحه[2].

فكانت لا تسير أموره السياسية بدون استشارة هذه القوى، فجل أعماله مرتبطة بهذه الطائفة الدينية التي لا يستطيع أن يستغني عنها، وحدث في البدايات الأولى للدعوة السعدية أن نشب صراع بين القائم بأمر الله وأرباب الزوايا ومتصوفة تدسي سنة 916هـ/1510 مما أدى بالقائم بأمر الله بالنزوح عن المنطقة، والعودة إلى بلدته درعة التي مكث بها حوالي سنتين توقف خلالهما عن إدارة أعمال الجهاد، ولما زال عنه الغضب، وطلب من أهلها أن يبايعوا ابنه الأكبر أحمد الأعرج بالإمارة فاستجابوا لطلبه[3]، وهذا ما يدل على عدم قدرته اتخاذ القرارات السياسية الخاصة بالحكم دون الرجوع لهم وكانت فترة حكمه مقيدة بأحكام أرباب الزوايا والمتصوفة نظرا لسيطرتهم على الحياة الاجتماعية للمغرب في تلك الفترة الزمنية[4].

---

[1]. عبد السلام بن محمد الخياط القادري:**مختصر تاريخ الشرفاء (السعديون ـ العلويون)** ،تح عبد السلام المنصوري ،ب ط ،مكتبة دار الامان ،الرباط المغرب ،2012م ،ص162.

[2]. ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص 243.

[3]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص51 .

[4]. محمد علي عامر محمد خير فارس: المرجع السابق ،ص26.

وكانت الطرق الصوفية مكسب دعم له ولأبنائه فبدخوله تحث جناح الطريقة الجزولية، التفت جميع قبائل السوس وحاحة ودرعة حوله، ثم إن توليه الحكم لبلاد المغرب كان تحت دعوة ومباركة من شيخ زاوية آقا محمد بن مبارك الأقاوي، متخذا منه السلطة الروحية التي بقيت لصيقة به وبأبنائه، وأصبحت لهم الشرعية في الجهاد ضد الغازي الإيبيري الحاقد[1].

ظل القائم بأمر الله محبا للزوايا والطرق الصوفية، ويكن لها الاحترام والتعظيم، حيث أنه لا يستطيع أن يرد لهم طلبا بعد يأسه في فترة من الفترات بعد اعتلائه الحكم، فكان رده محترما بطلب منه على إعفائه من الحكم، ومبايعة ابنه الأكبر أحمد المكنى بالأعرج، وهذا ما يذل على حسن معاملته لهذه القوى[2].

ارتبط القائم بأمر الله بالطريقة الجزولية ارتباطا شديدا، سواء في أعماله السياسية، أو معتقداته الروحية، فقام بمحاربة الإيبيريين بهدف الوصول إلى ضريح الإمام الجزولي، واختار أن ينزل بمحلتهم الكبرى قرب ضريحه، وكأنه اتخذ من مقامه عاصمة للسعديين[3].

ب موقفه من القوى القبلية : التفت حوله القبائل السوسية في البداية وكان عددها 500قبيلة، فكانت معاملته لهذه القبائل تتميز باللين، لكسب ودهم وحرصه على إبقائها تحت ولائه والاستفادة منها، فقد منحت له هذه القوى الدعم المادي والبشري في مخططاته الرامية إلى توطيد الحكم السعدي في المغرب[4]، وكذا استفادته من الزكاة والأعشار التي قدمتها هذه القبائل في بادىء الأمر، وتكوينيه منها النواة الأولى لدولته الجديدة[5]، فتلك العوامل التي قدمتها القوى القبلية فرضت على محمد القائم بأمر الله أن يعامل القبائل السوسية معاملة احترام وود.

---

[1]. ابو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص8.

[2]. نفسه ،ص13.

[3]. أحمد الوارث: المرجع السابق ،ص243.

[4]. عبد الكريم كريم: المرجع السابق ،ص39.

[5]. أبو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص10 .

وكانت نظرة محمد القائم بأمر الله لهذه الطائفة نظرة مستعطف لهم فلم تكن لديه أية سلطة عليهم، فكانت قيادته لهذه القبائل تبرز في ميادين المعركة فقط، وهذا ما يتضح لنا من خلال الصراع الذي نشب بينه وبين زعماء وقادة قبيلة تيدسي سنة 916هـ/1510، مما أدى بالقائم بأمر الله بالنزوح عن المنطقة، والعودة إلى بلدته درعة مكثا بها حوالي السنتين توقف خلا لهما عن إدارة أعمال تكرار المعلومة الجهاد، حتى ذهب عليه الغضب ثم عاد إليهم طالبا من هذه القبائل أن تبايع ابنه أبو العباس أحمد الأعرج[1] .

2- موقف أحمد الأعرج:ولد أبو العباس أحمد الأعرج سنة 891هـ/1486م، وبويع وليا للعهد 918هـ /1512م، وتقلد الحكم قبل وفاة أبيه، ولكن فترة حكمه الرسمية كانت بعد وفاة أبيه نظرا لرمزية والده، وامتدت فترة حكمه من (923هـ 946هـ /1517 . 1539م)، وكان أول عمل بادر به تعبئة الجيوش لجهاد النصارى[2]، عرفت فترة حكمه العديد من الانتصارات على البرتغاليين، وتوسيع الرقعة الجغرافية للدعوة السعدية في المغرب، وكذا نشوب خلاف بينه وبين أخيه[3]، أدى في الأخير إلى خلع أبي العباس وسجنه سنة 946هـ/1539 وهكذا انتهت فترة حكمه[4]، وقتل بعد مقتل أخيه بثلاثة أيام في سجن مراكش ودفن معا بها سنة 964هـ/1557م[5]، وكان موقفه مع القوى الدينية والقبلية التي ساعدته كالتالي:

أ . موقفه من القوى الدينية: لم يختلف موقف أحمد الأعرج عن موقف والده تجاه أرباب الزوايا وزعماء الطرق، نظرا للمساعدات التي قدمتها هذه الأخيرة في أعمال الجهاد ونشر الدعوة في المناطق الشمالية في المغرب[6]، وظل محبا لها ويتودد لها خاصة الطريقة الجزولية التي كانت نهجا

---

[1]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص51.

[2]. إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص245.

[3]. عمار بن خروف: المرجع السابق،ص ص 52. 53. 54 .

[4]. إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص246.

[5]. عبد السلام بن محمد الخياط القادري: المرجع السابق ،ص167.

[6]. ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص 243.

روحيا له[1]، فبدخوله مدينة مراكش واعتلائه للسلطة بها، قام بنقل رفاة والده ورفاة الإمام الجزولي من أفوغال إلى مراكش[2]، للتبرك بهما في خطواته القادمة ولكسب ود المغاربة، نظرا لاهتمام المغاربة بالشيخ الجزولي، والقداسة والهيبة التي كان يتمتع بها الشيخ وهو ميت في نفوس المغاربة من القاعدة إلى القمة[3].

ولكن تغيرت معاملة أحمد الأعرج لهاته القوى في ما بعد لتغيير مطامح أحمد الأعرج من رجل مجاهد ضد الغزاة البرتغاليين إلى رجل سياسة، بعد أن تنافت مصالحه ومصالح الزوايا بمحاولة منه وضع سيادته فوق سيادة الزوايا والطرق الصوفية، فحدث صراع ايديولوجي بين الطرفيين[4]، وما أجج هذا الصراع وتحوله إلى صراع عسكري، هو الخلاف الذي نشب بينه وبين أخيه محمد الشيخ الذي ظهر بعد معركة أغادير ودخول الوشاة بين الإخوة، واقتنع أحمد الأعرج بكلام الوشاة الذين أخبروه بأن أخاه لم يعدل في القسمة في غنائم أكادير، ونشب بينهما خلاف أدى إلى قيام معارك بينهما، وهذا الأمر لم يمر مرور الكرام في نظر أرباب الزوايا والفقهاء والصلحاء خاصة منهم السوسيين، حيث بدأت تتمرد وتدعوا الناس لإعلان الحرب عليهما، فكانت أول الثورات الصوفية في المنطقة هي الثورة التي قامت في الأطلس الكبير بقيادة المرابط سيدي عبد الله[5].

ب . موقفه مع القوى القبلية كان في بداية حكمه يعامل القبائل المساندة له معاملة ود ورضوخ لآرائهم، ليكسب ودّ القبائل والتفافها حوله[6] لتتزايد الجموع من حوله، ولكي تكون له الاستطاعة على تكوين بيت مال لدولته من خلال الزكاة والأعشار، ليستفيد منها في سياسته التي

---

[1]. أحمد الوارث: المرجع السابق ،ص243 .

[2]. ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص 246.

[3]. أحمد الوارث: المرجع السابق ، ص ص243 .245.

[4]. جمال بن طاهر: المرجع السابق ،ص19.

[5]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص55.

[6]. ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص 246.

بدأت تعرف توسعا ترابيا وبشريا في المغرب[1]، لكن سرعان ما تغيرت نظرته لهذه القوى فيما بعد، لعدم رضوخ هذه القبائل للسياسة التي بدأ يفرضها والرامية إلى إلغاء العصبيات القبلية والاستسلام للسلطة السعدية، ففي منطقة السوس تحولت جل قبائله إلى قطب معارض يترصد الفرصة للثورة والتمرد فكان نزاع أبي العباس أحمد الأعرج مع أخيه محمد الشيخ مناسبة لانطلاق شرارة الانتفاضة[2]، وهذا الصراع الذي نتج عنه حروبا لا غنى عنها في المغرب، ولم يمر مرور الكرام في نظرة الناس إليهم، فالقبائل السوسية بدأت تتمرد وتثور عليهما، فكانت أول الثورات في عهد أحمد الأعرج والتي قامت في الأطلس الكبير بقيادة المرابط سيدي عبد الله[3] .

3 – موقف محمد الشيخ:ولد محمد المهدي سنة 893هـ/ 1488م، وكان يعرف بالشيخ أو بأمغار، وتلقن تعاليمه الدينية والتدريس بسوس وفاس، ومن شيوخه علي بن عثمان التاملي المؤرخ، وعلي بن هارون أستاذه في الأدب،وعبد الله بن عمر المطغري الذي كان من الدعاة الرئيسيين للدولة السعدية وأبو عبد الله محمد بن أحمد اليستيثني المشارك في عدة علوم وخصوصا التفسير، وامتدت فترة حكمه من (946. 964هـ/ 1539. 1556م)[4]، وقد فاتح الباب العالي السلطان العاهل المغربي 959هـ/1552هـ في البيعة وأن يدعو للعثمانيين على المنابر، لكن محمد الشيخ رفض الرضوخ للتبعية[5]، وانتهى حكمه باغتياله من طرف العثمانيين لعدم اعترافه برمزية الخلافة العثمانية ودخوله في صراعات معها، وكان ذلك في سنة 964هـ/ 1557م[6]، وبقي

---

(1). ابو العباس خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق ،ص10 .

(2). جمال بن طاهر: المرجع السابق ،ص19.

(3). عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص55.

(4). ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص ص246. -247.

(5). عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى يومنا هذا** ،مج 8 ،الهيئة العامة للإسكندرية ،المحمدية ،1988 ،ص8.

(6). ابراهيم حركات: المرجع السابق ،ص249.

الحكم السعدي في ذريته[1]، لكن في عهد حكم محمد الشيخ تغيرت سياسة التعامل مع هذه القوى عكس ما كان عليه الوضع مع أبيه وشقيقه أحمد الأعرج.

أ ـ القوى الدينية :بعد تفرغ محمد الشيخ من الوطاسيين ومقتل أبي حسون ودخوله إلى مدينة فاس للمرة الثانية في 24 شوال 961هـ /22 سبتمبر1554، عمل على توطيد دعائم ملكه بالمغرب، وبعلمه آنفا أن الزوايا والمتصوفة كانوا أحد عوامل تصدع الحكم الوطاسي بالمغرب، وكان العامل الأقوى الذي مكن السعديين من البروز على الساحة السياسية، وبتخوفه المبالغ فيه منها، قام بعدة إجراءات مجحفة وقاسية ضد المرابطين والمتصوفة وذلك عن طريق إخضاع زواياهم للتفتيش والمراقبة، فأخلى بعضها ونفى بعضهم إلى أماكن معينة كسيدي عبد الله الكوش الذي أغلق زاويته في مراكش وأمر برحيله إلى فاس، وابن علي الحسن المصباحي وغيرهم الكثيرين[2]، ولم يتوقف عند هذا فحسب، بل وصل به الأمر إلى تشديد الخناق على الصلحاء والفقهاء، وكان يلتجأ إلى امتحانهم، وقد دلت إجراءات الإعدام التي اتخذها ضد عدد منهم على بالغ قسوته، وعدم اكتراثه لموقف الشعب، وهذا ما دل على حرصه على نفوذه ومركزه كملك[3]، كما أمر باغتيال العالم حامد عبد الواحد بن أحمد بن يحي الونشريسي الذي كنى له العداء من خلال مواقفه التي خاضها ضده، ونفس الأمر اتخذه ضد قاضي ومفتي فاس أبي محمد بن عبد الوهاب الزقاق[4].

أحدث محمد الشيخ ضريبة النائبة وحاول فرضها على جميع المغاربة بمن فيهم شيوخ الزوايا الذين رفضوها وعملوا كل ما في وسعهم لمناهضتها، ولكن محمد الشيخ كان على دراية بممتلكات الزوايا ومصالحها التي كانت كبيرة،وأنها كانت تستفيد من أتعاب الخدام ومن كافة المجاورين[5]،

---

[1]. ينظر الملحق 06.

[2]. عمار بن خروف: المرجع السابق ،ص59.

[3]. إبراهيم حركات: المرجع السابق ، ص ص250. 251.

[4]. عبد المجيد قدوري: المرجع السابق ،ص131.

[5]. عبد المجيد قدوري، المرجع السابق، ص 135. 136 .

واتخذ بدوره إجراءات صارمة، ولم يتردد في قتل المعارضين لسياسته الضريبية كأرباب زاويا الأطلس الكبير، وألغى جميع الامتيازات التي كان يتمتع بها أرباب الزوايا، كالإعفاء من الضرائب[1]، وطالبهم أيضا بتسليمه ودائع الدولة الوطاسية التي اتهمهم بأخذها ولاحقهم، فمنهم من تم سجنه ومنهم من لاذ بالفرار، ومنهم من أمر بقتله، وطبق هذا الوضع في مدينة فاس عاصمة الوطاسيين[2].

وبالرغم من هذه الإجراءات الصارمة المتخذة من طرف محمد الشيخ، إلا أن هذا لا يعني أنه لم يستعمل أسلوب اللين ومجاملة بعض كبار المرابطين في بعض الأحيان، إذ أنه لم يكن يتوجس خيفة منهم أو من أتباعهم، فعلى سبيل المثال سيدي حمزة المراكشي، وغيره كانوا موضع تقدير لديه[3].

وحاول محمد الشيخ أن يضمن للزوايا والطرق الصوفية التي ظلت ملتزمة بعدم التدخل في أمور الدولة كل الامتيازات، ومثال ذلك ما فعله بتقديمه ظهيرا صادرا عن السلطان يعظم فيه الشيخ سعيد بن أحمد الدلائي، وطالبهم مقابل هذه الامتيازات بقوله:**فعليكم المسكنة والوقوف على ما تعود منفعته ومصلحته لدارنا العلية بالله}** وهذا ما يدل على أسلوبه اللين مع بعض الزوايا[4].

ب . القوى القبلية: لم تكن سمات الحزم والشدة في عهد محمد الشيخ مقتصرة على أرباب الزوايا والمتصوفة فحسب، بل نالت منها القبائل موضعا حدا وأكثر قسوة مما نالته القوى الدينية، وخاصة القبائل المتدبدبة في ولائها كقبائل غرب مملكة فاس والقبائل الأخرى التي تخلت عنه في معركة كدية المخالي، والتي شهدت تخاذل هذه القبائل.

---

[1]. ابراهيم حركات :المرجع السابق،ص59.

[2]. ابو العباس خالد بن أحمد الناصري :المرجع السابق ،ص26.

[3]. عمار بن خروف :المرجع السابق ،ص59.

[4]. عبد المجيد قدوري :المرجع السابق ،ص 137.136.

وكان محمد الشيخ من جهة أخرى يقوم بتهجير القبائل من جهة إلى أخرى سواء لتحقيق الأمن والتقليل من خطورتها، أو لإضعاف شوكة تلك القبائل والسعي وراء إضعافها بتشتيتها في البقاع المغاربية، أو الاستفادة من خدماتها في الموقع الجديد، وهكذا نقل على سبيل المثال عرب الرحامنة من تغاوست بأقصى الجنوب إلى تامسنا بغربي مملكة فاس[1].

ومما سبق يمكن القول:

- بني الوجود السعدي في المغرب على تحرير الثغور المغربية المحتلة من وطأة المحتل البرتغالي، وهذا ما عمل عليه الحكام السعديون في استغلاله لكسب القاعدة الشعبية لصفهم.

- ضعف الوطاسيين وعدم قدرتهم على مجابهة الأوضاع في المغرب أدى إلى تنامي قوة السعديين والقضاء على الوطاسيين وتأسيس دولتهم.

- يعتبر محمد الشيخ المؤسس الحقيقي للدولة السعدية في المغرب، والموحد لأجزائه، والمحرر للعديد من المواقع التي احتلها البرتغاليون، وهو من قام برسم المعالم الأولى للسياسة الداخلية والخارجية.

- للقوى الدينية القبلية دور حاسم في قيام الدولة السعدية في المغرب، واختلفت مطامحهم ومساعيهم من فترة لأخرى، وهذا ما أدى إلى اختلاف معاملات الحكام السعديين من واحد لآخر حسب مصالحه.

[1]. عمار بن خروف :المرجع السابق ،ص60.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة توصلت إلى جملة من الملاحظات، والاستنتاجات أوجزها في الآتي:

1) أن أهم المدن المزدهرة التي كانت بالمغرب قبيل ظهور السعديين هي فاس وتطوان بفضل استقرارها الأمني على غرار المدن الأخرى التي شهدت اضطرابات وتهديدات مثل مراكش.

2)أن التصوف هو المظهر الغالب في الجانب الثقافي، وهذا راجع إلى مساندة الوطاسيين لهذا الفكر.

3) التعليم كان تقليديا يعتمد على الحفظ والتلقين.

4) الحياة الاجتماعية كانت مزرية بالمغرب علي حسب الرحالة حسن الوزان الذي زار المغرب.

5) أغلب سكان المغرب كانوا يعيشون في البوادي.

6) الوضع الاقتصادي كان متدهورا بسبب الصراعات الداخلية والتحرشات الخارجية.

7) الصناعة تعتمد على الوسائل التقليدية وكانت منحطة.

8) الأوضاع السياسية كانت مضطربة بسبب تعرض سواحل المغرب للاحتلال الاسباني والبرتغالي، ولضعف الدولة الوطاسية.

9) ساهم نسب السعديين في اختيارهم كقيادة جديدة للمغرب.

10) الزاوية هي مكان خاص بتعاليم الدين وبعض العلوم الأخرى، واستقبال عابري السبيل انتشرت بالمغرب العربي وغرب افريقيا.

11) استعملت الطُرُقية في الجانب الديني بهدف تغيير الأنظمة السياسية الفاسدة .

12) برز دور القوى الدينية من خلال أحد تلاميذ الشيخ الجزولي صاحب الطريقة الجزولية وهو محمد بن مبارك الأقاوي الذي أرشد سكان منطقة السوس لمبايعة أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله.

13) هناك قوى دينية أخرى ساهمت بطريقة غير مباشرة في مساعدة السعديين من خلال موقفهم المعادي للوطاسيين مثل الزاوية الدلائيةبصنهاجة، والشيخ أبي الروين بفاس.

14) أن هناك علاقة وطيدة بين القوى القبلية والدينية التي أثرت على هذه الأخيرة وهي بدورها ساعدت السعديين على إنشاء دولتهم خاصة قبائل بنو هنتانة وقبائل السوس.

15) غاية القوى الدينية والقبلية من مساندة السعديين ونشر دعوتهم تتمثل في طرد الوجود الإيبيري من المغرب.

16) نجاح السعديين في تحرير بعض المناطق زاد من طموحهم كقوة عسكرية مُواجهة للبرتغال والإسبان إلى الإطاحة بالوطاسيين وتأسيس دولة لهم بالمغرب.

17) تباينت معاملة الحكام السعديين للقوى الدينية والقبلية من حاكم لآخر، فكانت معاملتهم لهذه القوى معاملة حسنة قبل توليهم الحكم رسميا ،وعدائية بعد توليهم الحكم.

تلك أهم الملاحظات والاستنتاجات التي توصلت إليها في هذه الدراسة، إلا أنني أقرّ بأن موضوع البحث، والمتعلق بدور القوى الدينية والقبلية في قيام الدولة السعدية بالمغرب (1509-1554م)، ما يزال يحتاج إلى دراسة أدق وأعمق خاصة فيما يخص دور بعض القوى الدينية والقبلية الأخرى التي ساعدت السعديين بطريقة غير مباشرة لذلك لأن باب البحث لا يزال مفتوحا للباحثين، يمكنهم إضافة الكثير في المستقبل من خلال الوثائق والمحفوظات الأرشيفية.

الملاحق

الملحق رقم (01): منطقة نفود الوطاسيين[1].

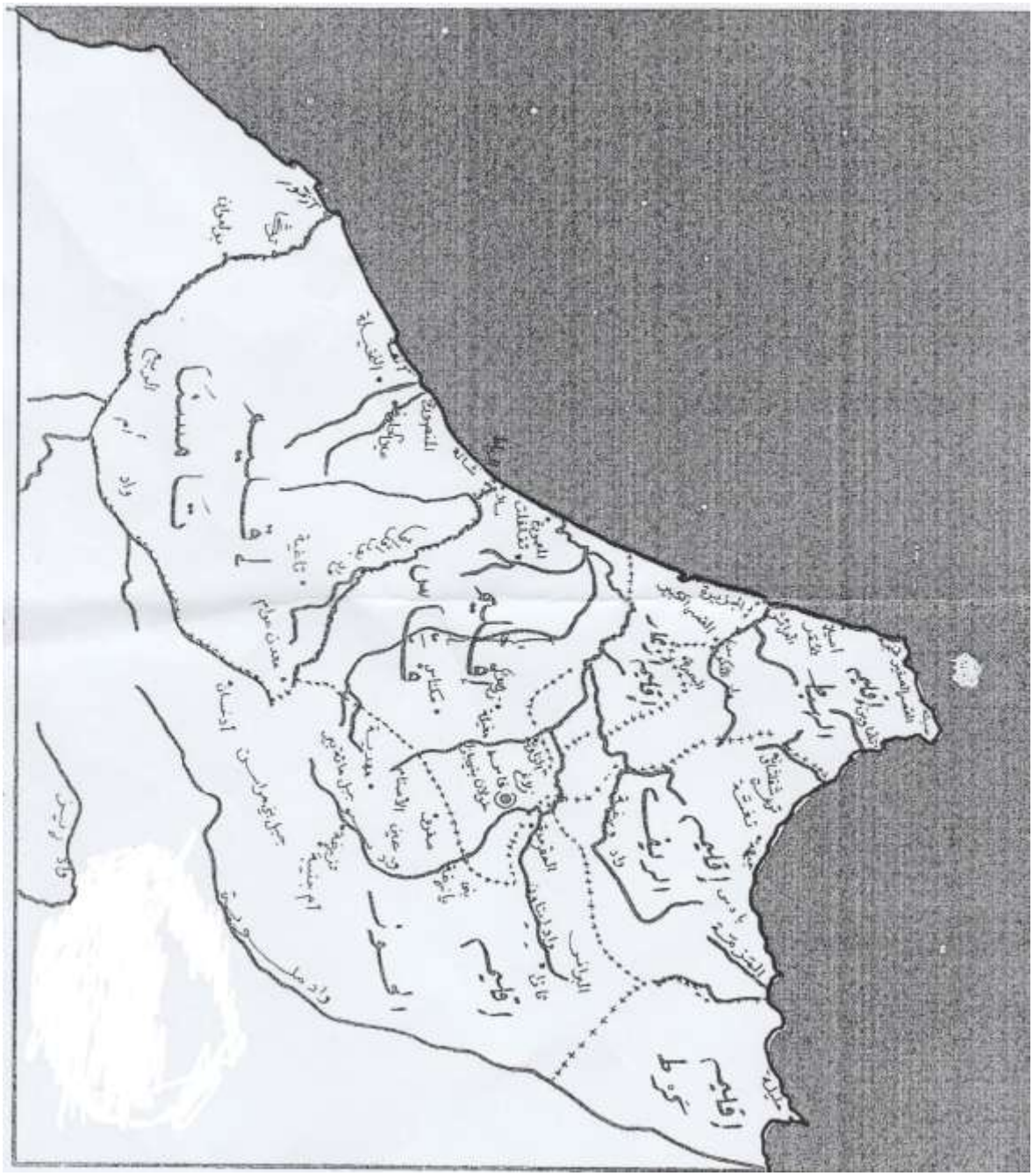

1- حسن الوزان ،المصدر السابق،ص192.

الملحق رقم (02):أهم المدن المغربية المتعرضة للغزو الإيبري[1].

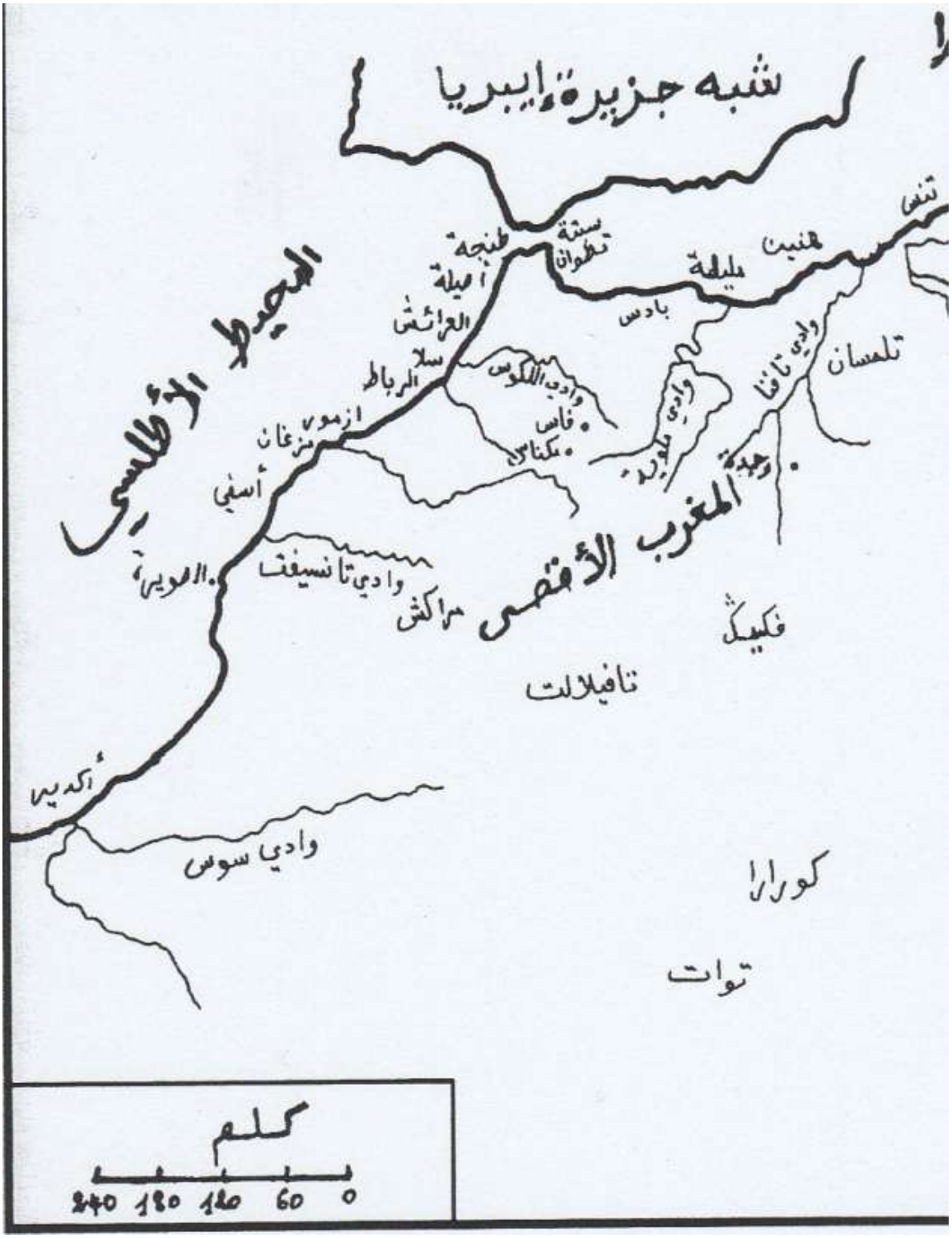

1 - زهراء النظام ،المرجع السابق، ص 194.

الملحق رقم (03):إتصال الجزوليين بالزاوية الشاذلية[1].

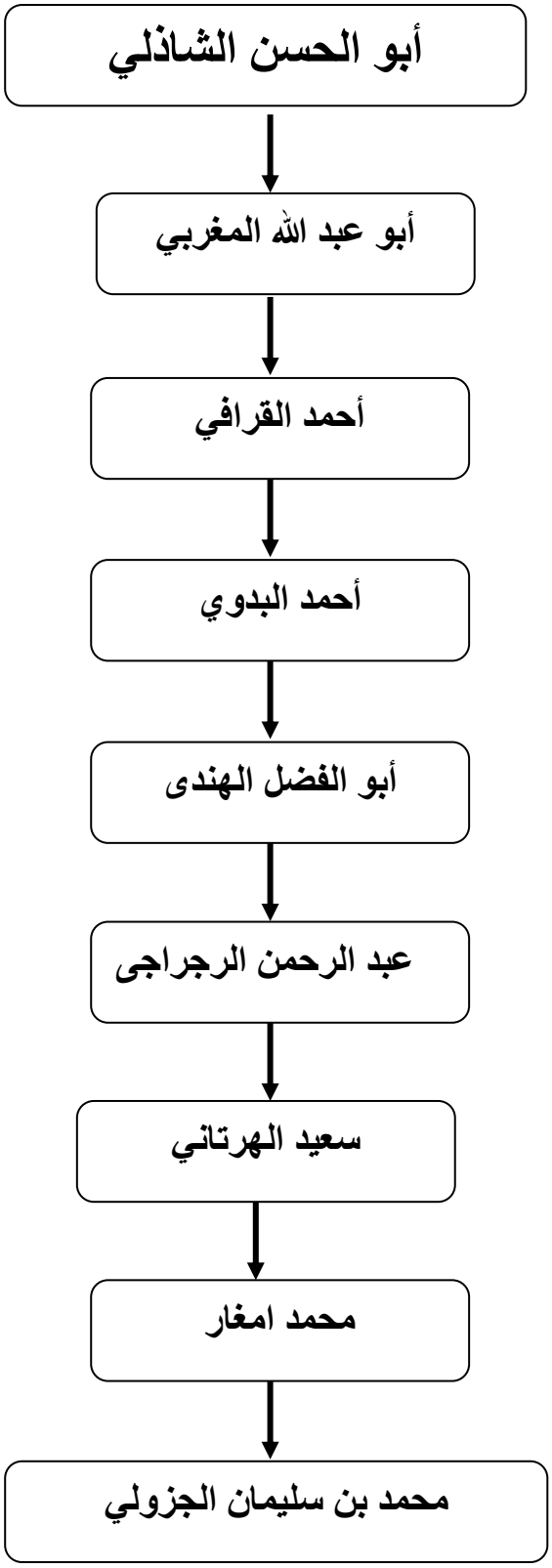

1- محمد حاجي ،المرجع السابق،ص56 .

الملحق رقم (04):الزاوية الجزولية بمراكش [1].

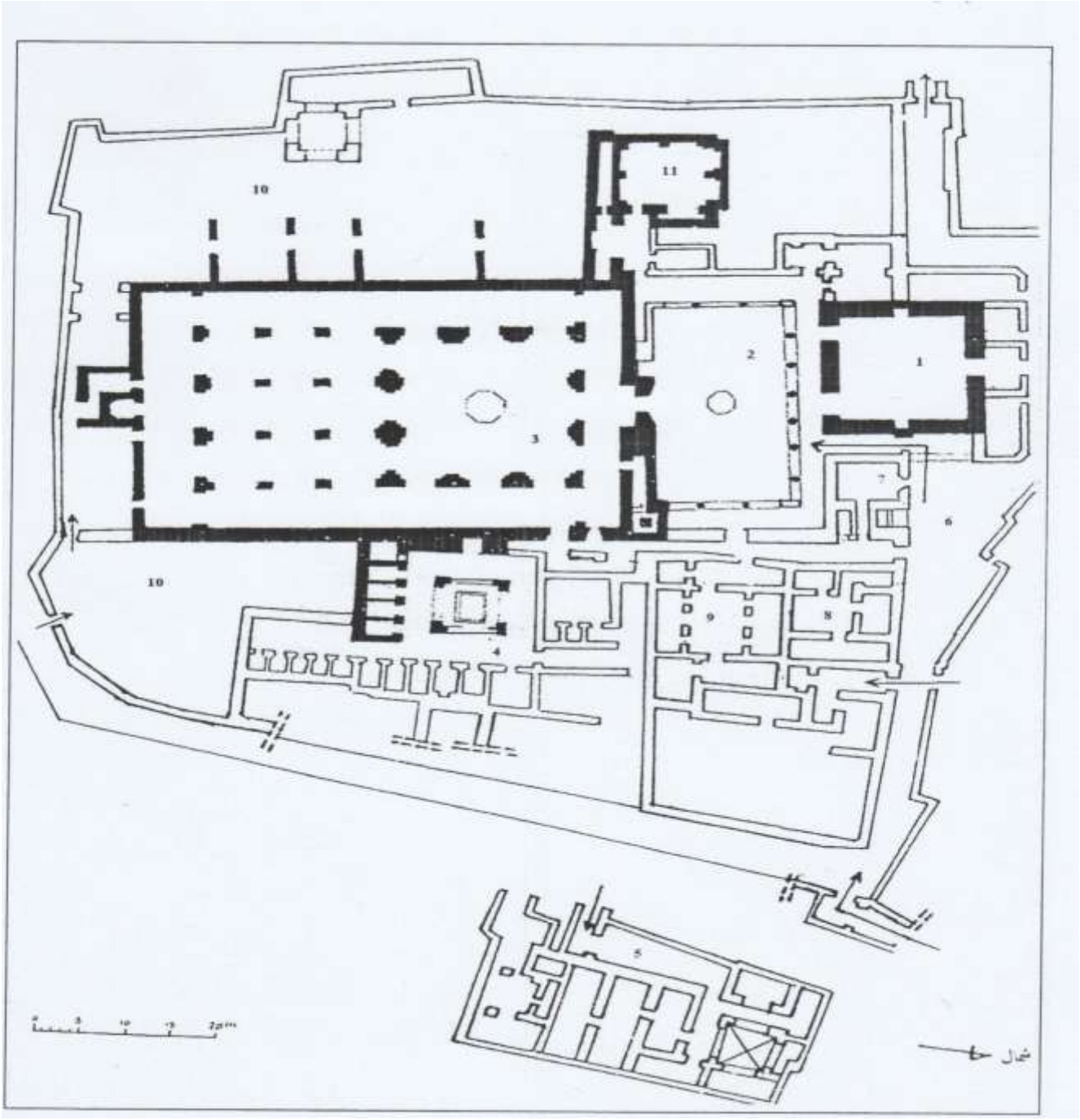

1- أحمد الوارث ،المرجع السابق، ص 272.

الملحق رقم (05):أقاليم المغرب الاقصى في القرن 16 م[1].

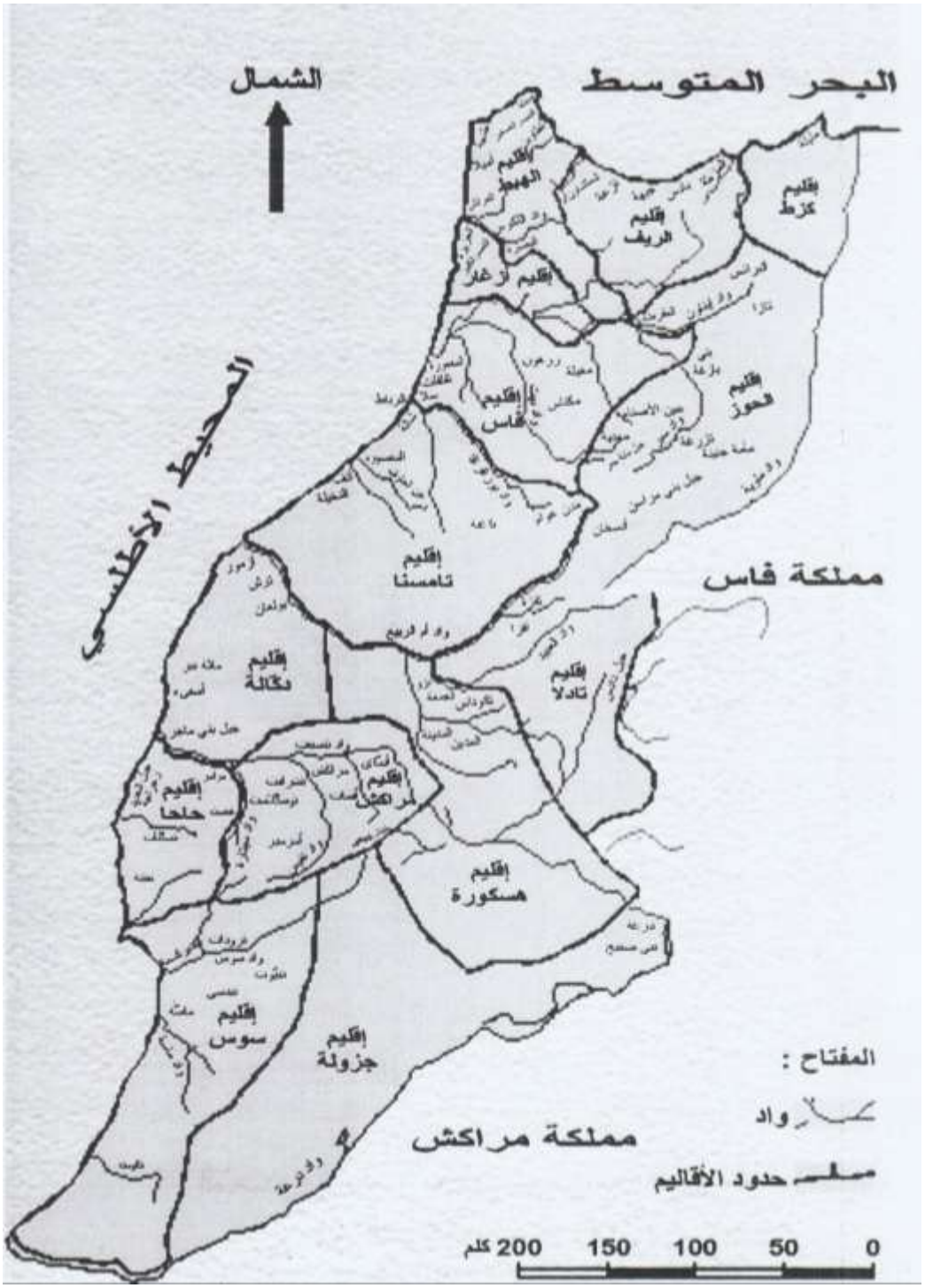

1- جمال بن طاهر ،المرجع السابق، ص446.

الملحق رقم (06):جدول حكام الدولة السعدية[1].

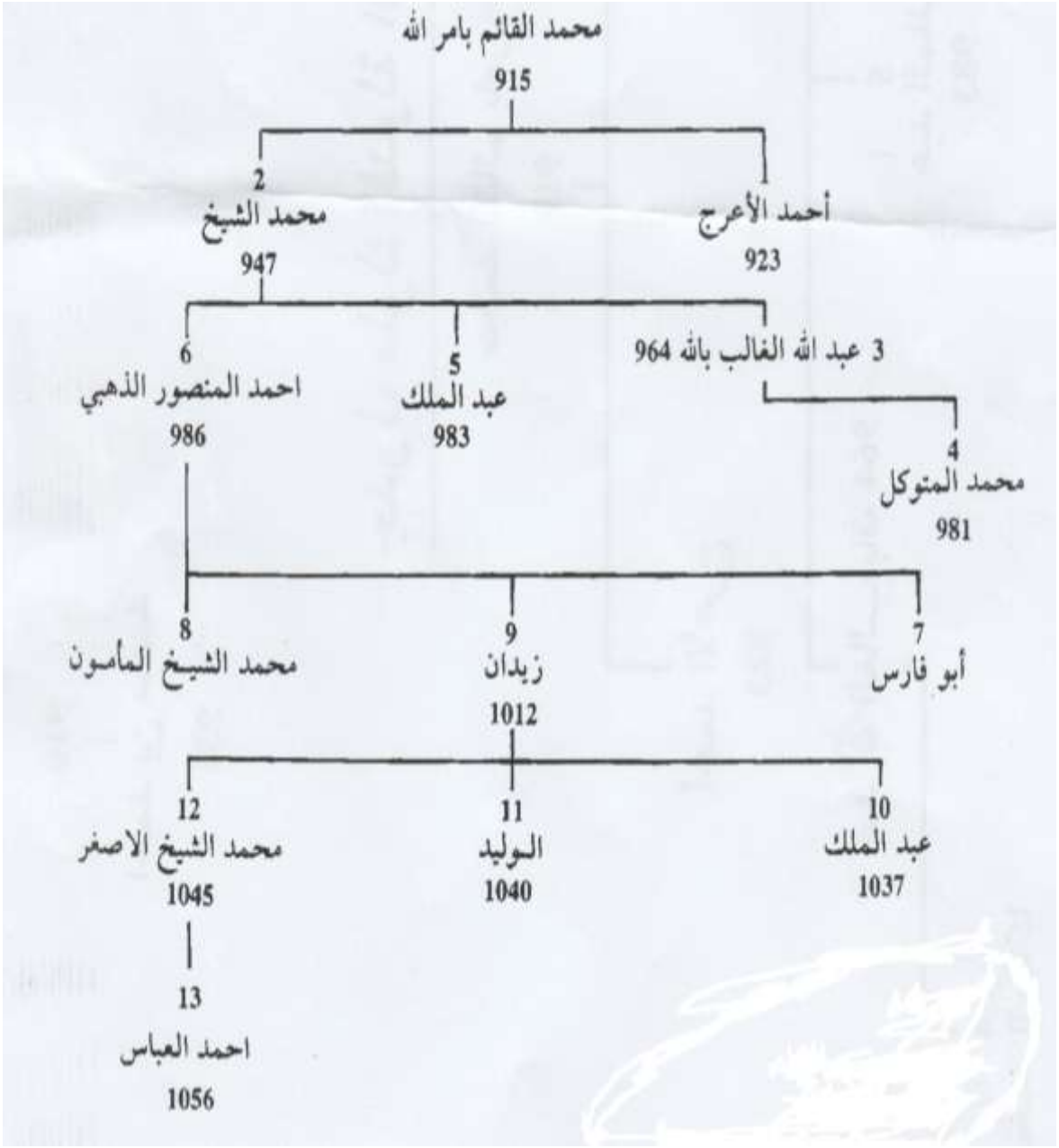

1- الصديق بن العربي ،المرجع السابق، ص256.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

اعتمدت الترتيب الهجائي ولم أدرج في الترتيب (ابن، أبو، ال)

أ ـ المصادر العربية والمعربة:

1. بن إسماعيل عبد الحق الباديسي: **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف** ، تح سعيد أعراب ،ط2 ،بد .دار. ن ،الرباط –المغرب ،1414. 1993.

2. التنبكتي أحمد بابا: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، كلية العلوم الانسانية، طرابلس ،1989/1398.

3. بن الخطيب لسان الدين السلماني: **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تح محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002.

4. بن خلدون الحضرمي عبد الرحمن بن محمد: **المقدمة** ، دار المكتبة الهلال ،بيروت، 1991.

5. بن القاسم محمد الأنصاري السبتي: **اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تح عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط ،1983.

6. بن عبد الكريم عبد الله محمد التميمي الفاسي: **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد** ،ج1 ، تح محمد الشريف ،ط1 ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، تطوان، 2002 .

7. بن عسكر محمد الحسني الشفشاوني : **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** ،تح محمد حجي ،ط2 ،مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط – المغرب ،1397هـ/1977م.

8. كربخال مرمول: **إفريقيا** ، ج1،تر محمد حجي وأخرون ،ط1، مكتبة المعارف ،الرباط المغرب، ،1984 .

9. كربخال مرمول :**افريقيا** ،ج2 ،تر محمد حجي وأخرون ،بد ط ،الجمعية المغربية للتأليف والنشر الرباط ، 1988. 1989م.

10. مؤلف مجهول: **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية** ، تح عبد الرحيم بنحادة، ط1994،1.

11. الوزان الحسن بن محمد الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر محمد حجي . محمد الأخضر،، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ،1983، ج 1.

ب ـ المراجع العربية والمعّربة:

1. إلهي ظهير إحسان: **التصوف المنشأ والمصادر**، ط1 ، إدارة ترجمان السنة ،باكستان، 1986.

2. إيميلي حسن: **الجهاد البحري بمصب أبي الرقاق خلال القرن السابع عشر الميلادي**، ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006.

3. بركات محمد البيلي: **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والاندلس حتى القرن الخامس هجري** ، دار النهضة العربية ،القاهرة ،1993.

4. البوزيدي أحمد: **التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17 مطلع القرن 20)**، بد ط، دار البيضاء، بد س ن.

5. التازي عبد الهادي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى يومنا هذ،** ج8، الهيئة العامة للإسكندرية ،المحمدية ،1988.

6. الجمل شوقي عطاء الله و عبد الرزاق إبراهيم عبد الله: **تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر**، الطبعة الثانية، دار الزهراء، 2002.

7. الجمل شوقي عطاء الله: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** ، ط1، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ،1977.

8. حجي محمد :**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ،ط 1 ،المطبعة الوطنية، الرباط ،1964.

9. حركات ابراهيم: **المغرب عبر التاريخ** ،دار الرشاد ،دار البيضاء،2000،ج1.

10. حسن جلاب: **الحركة الصوفية بمراكش: ظاهرة سبعة رجال**، ط1، مراكش،1994.

11. بن حسن بن عقيل بن موسى محمد: **من أعلام القرون**، ط2، دار الأندلس للنشر، جدة، ب س.

12. بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب** ، ، ط1 ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،1427هـ/2006، ج 1.

13. أبو خليل شوقي: **وادي المخازن** ،ط1 ،دار الفكر ، دمشق ،1988.

14. داود محمد: **مختصر تاريخ تطوان**، ط2، مطبعة المهدية، تطوان ،1955.

15. عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم: **المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517.1798)** ، ط1 ، منشورات المجلة المغربية و ديوان المطبوعات الجزائرية ، تونس، 1982.

16. رزوق محمد: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16و17** ، ط3 ، إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،1998 .

17. رزوق محمد: **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، إفريقيا الشرق ،1991.

18. الزياني ابو القاسم: **البستان الظريف في دولة اولاد مولاي الشريف**، تح رشيد الزاوية، الطبعة الأولى، الشركة المغربية للطبع والنشر، الرباط ،1992،ج1.

19. الزياني أبي القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم: **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**، تح عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية ،لبنان ،2003.

20. بوشرب أحمد: **دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وآزمور**، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1984.

21. ضريف محمد : **مؤسسة الزوايا بالمغرب** ،ط1 ، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي ،المغرب ،1992.

22. ضيف شوقي: **عصر الدول والأمارات**، ع1، دار المعارف ، القاهرة ،1995م.

23. بن طاهر جمال والأرقش دلندة و الأرقش عبد الحميد: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، تونس ،2003.

24. طيبي أمين توفيق: **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، الدار العربية للكتاب، 1997،ج2.

25. عاطف زين سميح: **الصوفية في نظر الاسلام** ، ط3 ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1985.

26. بن عبد السلام بن عبد الله محمد الناصري: **المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا**، تح عبد المجيد خيالي ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،2003.

27. بن العربي الصديق: **كتاب المغرب** ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ،المغرب ،1984م.

28. العروي عبد الله : **مجمل تاريخ المغرب** ،ط1 ،المركز الثقافي العربي، دار البيضاء- المغرب، 2007.

29. بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م،ج1.

30. العطري عبد الرحيم :**الرحمنة (القبيلة بين المخزن والزاوية)** ،ط4 ،دفاتر العلوم الإنسانية، الرباط ،2013.

31. علي عامر محمد و خير فارس محمد: **تاريخ المغرب العربي الحديث**، منشورات جامعية، دمشق ،1999. 2000.

32. بن علي محمد بن عبد الواحد: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح صلاح الدين الهواري ، ط1 ،المكتبة العضيرية ،بيروت ،2006.

33. عيسى عبد القادر: **حقائق عن التصوف**، ورثة المؤلف، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية، 2001.

34. الفيلالي عبد الكريم: **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، ب د ن ،القاهرة ،2006.

35. القبلي أحمد: **تاريخ المغرب (تحيين وتركيب)**، ط1، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط ،2011.

36. الكامون مولاي أحمد و السقلي هاشم :**المورسكيون في المغرب** ،ط1 ، مركز الدارسات والبحوث الانسانية والاجتماعية وجدة ،المغرب ،2010م.

37. كريم عبد الكريم: **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط1، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة الرباط. المملكة المغربية، الرباط ،1427/ 2006.

38. كنون عبد الله: **النبوغ المغربي في الأدب العربي** ، ط2، ب د س ،ج1.

39. كنون عبد المجيد كنون: **المغرب وأروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)** ،ط1 ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ،2000.

40. بن محمد عبد السلام الخياط القادري : **مختصر تاريخ الشرفاء (السعديون ـ العلويون)**، تح عبد السلام المنصوري ،بد ط ،مكتبة دار الأمان ، الرباط –المغرب ،2012م.

41. المختار محمد السوسي :**رجالات العلم العربي في السوس (من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر)** ،ط1 ،مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، المغرب ،1409هـ/1989م.

42. بن مكرم أبي الفضل جمال الدين محمد: **لسان العرب**، دار الصادق للطباعة، بيروت، 1968، ج9.

43. الناصري الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد : **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،** تح الأستاذ جعفر الناصري ، والاستاذ محمد الناصري، دار الكتاب ،الدار البيضاء ، المغرب، 1995 ، ج4 .

44. النظام زهراء: **العلاقات المغربية الجزائرية (مقاربة سياسية ـ ثقافية خلال القرن 10هـ/16م)** ، ط1، منشورات دار الأمان ،الرباط ،1436هـ/2015.

45. الوارث أحمد: **الطريقة الجزولية (التصوف والتشرف والسلطة في المغرب الحديث)**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب ،1431هـ/2010م.

46. الوفراني محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله:**نزهة الحادي بإخبار ملوك القرن الحادي**،دار تينمل، فاس – المغرب، تص هوداس، انجي، ب د ،1888.

ج ـ المصادر و المراجع بالفرنسية :

1.Boulet (L' abbé): Histoire de l'empires des chérifs en Afrique, Paris 1733.

2. Martinet et Autres : Histoire du Maroc, Casablanca 1967.

3.Rober! Rézelle, Les enclaves espagnoles au Maroc, Paris, Nouvelles éditions latines, 1976.

4.Rosemberger et Triki Hamid : Famines et épiddemies au Maroc au 16e et17e Siècles , /in /H esp,Tamuda,t , 14 Rabat1913.

د- مجلات:

1.عبد الرحمن العثمان إيمان:**الفشتاليين في المغرب الأقصى ودورهم في الحياة العامة** ،مجلة كلية العلوم الإسلامية العدد الثالث عشر ،1434هـ/2013 .

2.عموري عبد العزيز: **من تاريخ التصوف في المغرب**، مقال، ص 6. مؤمنون بلا حدود

3.العيادي محمد: **محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني**، أعمال موجهة في التاريخ الديني 1 ،جامعة حسن الثاني، دار البيضاء ،سلسلة ندوات ومناظرات 8.

هـ- الموسوعات :

1.موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1 ،القاهرة ،1994.

و- المذكرات و الرسائل الجامعية:

1.بوشارب نصيرة :**التصوف في بجاية ق(06 .09هـ . 12.15م)** ،رسالة ماستر ،جامعة غرداية ،1437.1436هـ/2016.2015م.

الفهرس

فهرس المحتويات	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ
الفصل الأول: أوضاع المغرب العامة قبل قيام الدولة السعدية	
المبحث الأول: **الأوضاع السياسية (ضعف الحكم الوطاسي)**	02
01: **انقسام المغرب وظهور وحدات سياسية شبه مستقلة**	03
02: **الهجومات البرتغالية والإسبانية (الإيبرية) على السواحل المغربية**	06
المبحث الثاني: **الأوضاع الاقتصادية و الثقافية للمغرب**	12
01: **الوضع الاقتصادي**	12
02: **الوضع الثقافي**	15
المبحث الثالث: **ظهور الأشراف السعديين على الساحة المغربية**	20
01: **نسبهم**	20
02: **دخول السعديين للمغرب وبداية دعوتهم**	23
الفصل الثاني: دور الزوايا والطرق الصوفية في نشر الدعوة السعدية بين القبائل المغربية	
المبحث الأول: **تعريف الزاوية و الطريقة و التصوف**	31
01: **الزاوية**	31
02: **الطريقة**	34
03: **التصوف**	36

المبحث الثاني: **الزجولين ودورهم في نشر الدعوة السعدية**	40
01: **الطريقة الجزولية**	40
ثانيا: **دور الجزوليين في نشر الدعوة السعدية**	42
ثالثا: **القوى الدينية المعارضة للحكم الوطاسي في فأس وما جاورها والمباركة للتواجد السعدي.**	49
المبحث الثالث: القبائل التي ساعدت السعديين في البروز(قبائل السوس، هنتاتة ،الشاوية)	51
01- **قبائل السوس**	51
02- **قبائل بني هنتاتة**	52
03- **قبائل الشاوية**	54
الفصل الثالث: وصول السعديين للحكم ،وموقف حكامهم من القوى الدينية والقبلية.	
المبحث الأول: **تحرير الثغور المحتلة بداية لأمر السعديين.**	56
01: **المرحلة الأولى 1511/ 1517م**	56
02: **المرحلة الثانية 923. 946هـ/ 1539.1517م**	57
03: **المرحلة الثالثة 946. 962هـ/ 1554.1539م**	58
المبحث الثاني: **الصراع السعدي الوطاسي واعتلاء السعديين الحكم في المغرب**	60
01: **الصراع السعدي الوطاسي**	60
02: **القضاء على الحكم الوطاسي**	65
المبحث الثالث: **قيام دولة الأشراف السعديين**	69
01: السياسة الداخلية	69
02: **السياسة الخارجية**	71

المبحث الرابع: **موقف الدولة السعدية الناشئة من القوى الدينية والقبلية**	73
01: **موقف القائم بأمر الله**	73
02: **موقف أحمد الأعرج**	75
03: **موقف محمد الشيخ**	77
الخاتمة	82
الملاحق	85
المصادر والمراجع	92
الفهرس	102

دور القوى الدينية والقبلية في قيام الدولة السعدية بالمغرب 915. 961هـ/1509. 1554م

ملخص الدراسة

تتضمن الدراسة دور القوى الدينية والقبلية في قيام الدولة السعدية بالمغرب في الفترة الممتدة ما بين 1509. 1554 ،وطرقت في بحثي هدا إلى أوضاع المغرب الأقصى عشية قيام الدولة السعدية وما شهدته من ضعف للحكم الواطسي وتوالي الحملات الإبيرية على مدنه الساحلية ،وعن نشأة دولة الأشراف السعديين ،التي عرفت دعم في شتى المجالات من القوى الدينية والقبلية ،والتي كانت لها الفضل الأسمى في إعتلاء السعديين للحكم وقضائهم على الحكم الواطسي بشكل نهائي سنة 1554م ،مع مراعتي للمعاملات التي تلقتها هده القوى في هده الفترة من الزمن ،كما عرضتُ فيها رؤى بعض المؤرخين حول نسب السعديين .

لقد اعتمدتُ في دراستي، على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة باللغة العربية ،بالإضافة إلى بعض المراجع باللغة الأجنبية .

وقد قسمتُ هده الدراسة إلى ثلاثة فصول ،مقدمة ،وخاتمة ،واحتوت على مجموعة من الملاحق المتنوعة ،والفهرس ،وخلصت في الأخير إلى استنجات هامة بعد دراسة الموضوع .

الكلمات المفتاحية :

السعديين ،المغرب ،القوى الدينية ،915. 961هـ/1509. 1554م

Le rôle des forces religieuses et tribales dans l'établissement de l'Etat Saadia Maroc 915 961 e / 1509 1554 m

Résumé de l'étude

L'étude porte sur le rôle des forces religieuses et tribales dans l'établissement de l'Etat Saadia au Maroc durant la période entre 1509 1554, et j ai touché dans cet recherche à la situation du Maroc Aqsa à la veille de l'état Saadia ont assisté à la faiblesse de l'état de Allowattsa et la succession des campagnes Alapereh sur les villes côtières, et l'émergence de la surveillance de l'Etat Saadiens, qui est connu pour soutenir dans divers domaines des forces religieuses et tribales, qui ont été portés au crédit avec le nec plus ultra en montée règle Saadiens et les dépenses en Allowattsa offecile tetulair l'année dernière 1554, les transactions Mraotai reçues par ces forces dans cette période de temps, et a présenté les quelque visions de certains historiens sur les proportions Saadi N.

Dans mon étude, j'ai utilisé une variété de sources et de références en arabe, ainsi que quelques références en langues étrangères.

L'étude de cette question a été divisé en trois chapitres, l'introduction et une conclusion, et contient une variété de suppléments, de l'indixe, et en faine je conclu des conclusion importantes après avoir étudié le sujet.

les mots clés:

Saadi, Maroc, forces religieuses, 915 961 e / 1509 1554

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université de Ghardaïa

Faculté des sciences sociales et humaines

Département des sciences humaines

Filière d'histoire

Le rôle des forces religieuses et tribales dans la mise en place de l'Etat saadien au Maroc

915 961 e / 1509 1554 m.

Mémoire pour remplir les exiigences d'avoir un master en histoire
Spécialité :Histoire moderne et contemporaine.

- **Préparé par l'étudiante :**
  - Mebarek Dris

- **Sous l'encadrement du prof :**
  Rahima Bichi

Comité de discussion

Professeur: .... Aicha Mahma..... Président.
Professeur: .... Rahima Bichi ..... Encadreur.
Professeur: .... Moussa Triaa ..... Discuter.
Note: Discuté le 25 Ramadan 1439 H / 10 Juin 2018 avec une note de 17.

Année Universitaire :

2017-2018 AD/1438-1439 H